

من قرية سيدي حمادة إلى قلعة جامع الزيتونة

تقديم : عبد الرؤوف الخنيسي

أعتقد أن الأستاذ الشيخ محمد الكامل التونسي - برّد الله بالرحمة مثواه - شخصية وطنية مميّزة في تاريخ النضال الحق والدفاع عن مقومات الاسلام، بعيدا عن الشعوذة والدروشة، واتخاذ الأقنعة المسرحية المغتحلة...

كذلك أعتقد أن الفقيه العزيز محمد الكامل التونسي من الوطنيين الصادقين، الذي ناضل في سبيل حرية تونس وكانت محاضراته وكتاباته بسوريا شاهدا عليه، يوم جعل من بيته في دمشق «بيت تونس» حيث كانت ملتقى للزعماء الأحرار وطلبة المغرب العربي، ومنندى قوميا لصفوة من مثقفي السياسة والوطنية ورجالات الأدب والثقافة الذين وجدوا في شخصية الشيخ الأستاذ أريحية النفس الكبيرة، وسعة الفكر التقدمي النير، وروح المناضل الصادق الذي عمق في الناشئة العربية، من تونسيين ومغاربة وسوريين حب العروبة والوحدة على خطى الشاعر القروي :

أما سيرة محمد الكامل التونسي الذاتية والوطنية والقومية والتربوية، فإيجاز هي سيرة رجل شهيم، قوي الشكيمة، لا يخشى في الحق لومة لائم، فعلى يديه تتلمذ مئات الأساتذة والأدباء والشعراء والسفراء في سوريا الشقيقة وفي دمشق الفحاء بالذات كان جدول الصادي و«أرغول» الحادي بفضل ما كان يتصف به من عمق التربية وشفافية الحس القومي وصدق الوطنية العربية المسلمة.

ولئن استثمر رجال «مكتب المغرب العربي» بين دمشق والقاهرة، سنوات النضال، واستعرضوا - عضلاتهم - بعدما تحررت أقطار المغرب العربي، فإن الأستاذ محمد الكامل التونسي لم يستثمر نضاله... ولم يطلب منصبا أو جاها... عاد إلى تونس في أوائل الاستقلال، مدرسا عاديا بالحي الزيتوني، مدرسة ابن شرف، مكونا نابئة طالبية قومية تؤمن بشعار :
تَقْضِي الرِّجُولَةُ أَنْ نَمُدَّ جُسُومَنَا جِسْرًا فَقَلَّ لِرَفَاقِنَا أَنْ يَعْبرُوا

ولقد عاد إلى الوطن بعد أن تغنى مع الشاعر القروي :

بُنْتُ العروبة هَيْئِي كَفَنِي أنا عائد لأموت في وطني
أَجُودُ من خلف البحار له بالروح ثم أضئُ بالهـِـمَمِ دَنِي؟

...ولقد كان رحمه الله تحفة أخلاق وظرف... ومنجم كرم وعطاء،
تاركا صفوة من الأبناء وعائلة جديرة بالتقدير والتكريم والوفاء.

عبد الرؤوف الخنيسي

في سفح جبل من سلسلة جبال الأطلس قرية من قرى تونس تدعى «قرية سيدي حمادة» نسبة إلى مؤسسها الأول وهو جد سكانها. وقد وقعت بين جبال ثلاثة يسند القرية جبل كبير من الجنوب وآخر دونه ارتفاعا من الغرب يقابله جبل مثله في الشرق وتحيط بها الغابات الملنفة على بعضها وهي تمتد مسافات بعيدة في السهول الشمالية وتنتهي بنهرين تستغلها هذه القرية وعليهما معاش سكانها الذين تناسلوا من أصل واحد لأنهم لا يزوجون ولا يتزوجون من غيرهم ادعاء منهم أنهم شرفاء يتصل نسبهم بنسب النبي ﷺ. وسواء صح هذا النسب وهذا الشرف أم لم يصح فقد سلمه الناس وأقروا به وسلمته لهم الحكومة فميزتهم بميزات لا يتميز بها إلا الشرفاء. ولعل ادعاء هذا الشرف هو الذي حدا بهم إلى أن يحافظوا على الأخلاق الإسلامية فهم يحفظون القرآن الكريم حفظا جيدا ويرون ذلك واجبا من الواجبات الدينية ويتلونه على ظاهر قلب في فراغهم. ولا يعرفون خمرا أو ميسرا أو ما ينافي الدين وينهون أمورهم بينهم في مخاصمتهم دون أن يتصلوا بالحكومة. على أن عبادتهم لا تخلو من بدع وحشو لا يمت إلى الدين

بصلة. فيصرفون أوقاتهم في حلقات ذكر لا يتجاوز مدح أشياخهم وأرباب الطرق منهم وهم يبالغون في مدح هؤلاء الشيوخ حتى أوصلوهم إلى مقام الألوهية فضلا عن مقام الرسل. فادعوا أن شيخ الطريقة قادر على أن يضمن الجنة لأتباعه ويفخرون بذلك.

في هذه القرية نشأت ودرجت وحفظت القرآن على ظاهر قلبي. وفي هذه القرية وفي هذا الجو رضعت لبان طفولتي وكنت واحدا منهم أقف في حلقات الذكر وأفاخر بشيخي وكيف لا أفاخر به وهو جدي له علي حق الولادة وله علي حق الطريقة ومع ذلك سيدخلني إلى الجنة دون حساب أو عقاب !

تغيرت الظروف فاختلقت مع إخوة ثلاث بعد وفاة الوالد فتركتهم واتجهت إلى العلم فدخلت الكلية الزيتونية آملا أن أنال الشهادة التي نالها أخي الأكبر بعد أن حرمني صباة من ميراث تركها لنا الوالد فاتصلت بمن تقدمني إلى الكلية في قريتنا وطلبت منهم أن أسكن معهم ريشما يويني مسكن في أوقاف الكلية وهذا المسكن لا يستحقه التلميذ إلا بعد أن يمر عليه أربع سنوات ومع هذا الوقت الطويل قبل أحدهم أن يأويني معه في مسكنه ثم أخذ أبناء قريتنا يعرفونني بغيرهم ويرشونني إلى الأساتذة الذين يوافق هواهم ما نشأنا عليه وما أخذناه في القرية من تصوف وطقوس في العبادة وأكثروا علي تأكيداً كلياً أن لا آخذ على الأستاذ عثمان بن الخوجة وأن لا أتصل به وألا أقر به لأن عقيدته تخالف عقائدنا التي ورثناها عن آبائنا وأجدادنا مع ما له من غزارة علم ومقدرة في الفهم والتفهم وبدأ بعضهم يرميه بالاعتزال. وآخر بالوهابية. وثالث بالزندقة وأنا لا أعرف مدلولاً لهذه الكلمات : وإنما أعرف أنني شاركتهم في كره الرجل كرهته وأنا ظالم له. لأنني لم أختبره ولم أحدثه وأعتقد أنه لم يسمع باسمي ولم يعلم أنني موجود في الدنيا.

انقضت السنة الأولى وأنا بعيدا عن هذا الأستاذ متأسف على من حوله من التلاميذ مشفق على عقائدهم. وفي السنة الثانية دفعني قانون الكلية وأرغممتي الظروف على أن أجلس أمام الرجل وأنا كاره وأن آخذ عنه أغلب الدروس. ولكن ما علي وأنا لم آخذ عنه درس الدين فالذي أخشاه هو العقيدة.

والبلاغة والقواعد والمنطق كلها لا تتصل بالدين فلا بأس على عقيدتي من هذا الرجل المعتزلي !

ينبغي أن أنبهك إلى شيء أنا في أشد الحاجة إليه. أنبهك إلى أنني تلقيت علمي في كلية دينية، لا تدخلها مذاهب هدامة ولا يعرف أبنائها إلا العلم والعبادة. ولك أن تعلم أنني قرأت في هذه الكلية ثماني سنوات لم أتلُق درسا واحدا إلا وأنا على وضوء سابغ لعلمي أن علم الله نور ونور الله لا يؤتى لعاص. وأنا الآن أحدثك وديني محفوظ في قلبي والحمد لله وهو سلوتي الوحيدة في هذه الحياة وأمل في حياة أسعد وأنفع مما أنا فيه. أحفظ القرآن وأؤمن بما جاء فيه وأصدق بالرسالة وبالبعث والحشر والنشر وأحاول أن أمثل للأوامر وأجتنب النواهي ما استطعت إلى ذلك سبيلا. ويشهد الله أنني لم أتعد على أحد أو آكل حق أحد ولم يدخل جوفي درهم محرم أو أتعمد ما يخالف الشرع. أفلا تعتقد معي أن هذا كاف لأن أكون في عداد المسلمين. ومع هذا وذاك فليست في حاجة إلى أن أطلب من الناس الاعتراف بإسلامي حسبي أن يقبل الله مني هذا الاسلام.

وليت الذي بيني وبينه عامر وبينني وبين العالمين خراب ولست في حاجة إلى هذه المقدمة لولا أنني أردت أن تشاركني فيما سأعرضه عليك من آراء لهذا الأستاذ فإن لم تستفد من عقيدة فلا أقل من أن تستفيد منه استنتاجا ومحكمة وتدبرا في العلم وسلامة في الذوق. وأطلب منك طلبا لا يكلفك عناء ولا يرهقك وهو أن تجتنب ما عليه الناس من تكفير بعضهم بسهولة ولأي سبب وقد يخطيء الباحث فيما ذهب إليه إلا أن الخطأ لا يسمى كفرا فالكافر لا يدخل معك في هذا البحث ولا يجادللك. لأنه لا يمت إلى الدين بصلة ولا يحاول أن يتعرض إليه فالذي يحدثك في الدين ويبرهن على ما ذهب إليه بالكتاب أما أن يكون مصيبا في رأيه وهو مؤمن وأما أن يكون مخطئا فهو ليس بكافر وإنما هو مخطيء. وحسبه أن ينال أجرا واحدا.

ولعلني في حاجة إلى أن أنبهك إلى شيء آخر لم يكن بعيدا عنك، وهو أن المسلمين مجمعون على أن الدين دخل فيه ما ليس منه وشوخته البدع ومع هذا الاعتراف يسرعون إلى تكفيرك كلما انتهتهم إلى بدعة أو جادلتهم

في قاعدة حتى كأن الدين لم تشبه شائبة في هذه العصور الماية ولم تمسه يد في الفرس أو العشوية وليس فيه من الاسرائيليات ما لا يحصى له عد. أليس هذا من التناقض البين.

وهل من المنطق أن يصل إلينا الدين سليما وقد تناولته أيد مغرضة واتخذته الناس سلما إلى الخلافة فيما مضى وكفر بعضهم بعضا لمثارب يعلمها من تتبع التاريخ.

هَبُونِي دينا يجعل العرب أمة وسيروا بجثمانى على دين برهم
سلام على كفر يوحد بيننا وأهلا وسهلا بعده بجهنم

وسجد في هذه الصفحة من مذكرات وتأملات «أستاذنا الشيخ» محمد الكامل التونسي شخصية رجل قروي تعمق إيمانه بربه، وارتبط كيانه وحسه بترابه ووطنه، مستعملا النظر في شؤون دينه ودنياه، داعيا إلى نبذ الطرق الدينية المزيفة وأساليب الشعوذة التي علقت بقرية آمنة مؤمنة ذات حقبة من تاريخ تونس الدامع الحزين، متتلما على يد مصلح مغبون يدعى عثمان بن الخوجة أهده مذكراته بقوله :

إلى تلك الروح الوثابة والفكر الوقاد والقريحة النقاة. إلى ذلك الجندي المجهول الذي عاش وحيدا فريدا أنكره قومه ولم يعرفوا فضله. إلى من كشف أمام عيني الحقائق... إلى من أعجب بي وأعجبت به فكان لي والدا شفيقا وأستاذنا مخلصا ومربيا حكيما. إلى المسلم الصادق في إسلامه. البر دينه. الممثل لربه. إلى تلك الروح الطاهرة روح أستاذي المرحوم عثمان بن الخوجة آملا أن أوفي بعض ما علي من الحقوق التي طوق بها عنقي وجعلني مدينا له إلى أن ألقاه في دار البقاء.

بهذه الكلمات الوفية النفيسة يحدثنا الأستاذ عن شيخه وأستاذاه المصلح الكبير... المصلح المغمور المغبون عثمان بن الخوجة...

وسجد في هذه الورقات التي حصل لنا شرف كتابتها وتسجيلها من قبل أستاذنا الفقيه، أن محمد الكامل التونسي اتخذ القرآن المبين منارة للفكر وهديا مبينا وحجة في وجه المتزمتين الذين لبسوا الباطل و«تزندقوا» على حساب

الاسلام المصفى... الاسلام الحق، في ظرف اتسم بالخنوع والخضوع،
واتسم بكل مظاهر القنوط والتحجر والفراغ العقلي.

وقد اعتمد في مذكراته على الأحاديث النبوية الصحيحة، أي على ما
اتفق عليه من صحيح الكلام المحمدي الشريف، متماشيا وما في الكتاب
المبين من آيات بينات في وضوح الحقيقة الالهية السرمدية.

وستعلم - أنار الله بصرك وبصيرتك - أن الشيخ محمد الكامل التونسي،
كان رجل إصلاح وتربية وثقافة بكل ما تعنيه هذه الكلمات من سمو وعفة
ونقاء فكري، قوض أصحاب الطرق الرجعية، صامدا كجذع زيتونة في وجه
الحطاب... ذلك الحطاب الجاهلي الأرعن الذي استوطن عمامنا، وسكن
لحاننا، ونهل من أدمغتنا ونخر في عظامنا مدعما أهدافه السامة المحنطة من
قبل الاستعمار الفرنسي الذي كان مشجعا لدين الخرافة... وأولياء
الحجارة... وزبانية الفكر...

فأمام هذا الماضي المظلم يجب على الباحث في الدين أن يعتمد على
الكتاب المنزل على رسول الله وقد وعدنا الله بحفظه إذ قال جل من قائل
«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» وسأطلعك على محاربة هؤلاء
المغرضين إلى القرآن كيلا يسفه آراءهم ويبطل عملهم ويفسد عليهم
مسعهاهم ولكن خاب ظنهم وطاش سهمهم فالقرآن كتاب لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه ولن يضل من عمل به مادام الليل والنهار.

يتبع

في العدد القادم

الاتصال بالأستاذ عثمان بن الخوجة

لَا

تُعُودِي...

شعر

الأستاذ

فخر الدين بن بلقاسم

عَبْدِي

وَأَجْرِي

وَأَخْنِي طَيْفَ الْحَيْنِ

قَطْعِي كُلَّ الْعُهُودِ

وَأَقْلِبْنِي

لَا تَلِينِي.

أَنْتِ إِنْ كُنْتِ غَرَامَا

فِي ضُلُوعِي،

وَصَلَاةَ

فِي نُرَى الْحَبِّ الْأَمِينِ،

وَضِيَاءَ

فِي نُرُوبِ الْعُشْقِ لَمَّا

يَدْلُهُمُ اللَّيْلُ فِي صَفْتِ السُّكُونِ؛

وَتَسَابِيحَ عَلَى كَفِّ الْأَمَانِي

كُلَّمَا أَجْلَيْتُ شَكِّي بِالْيَقِينِ،

فَلَقَدْ خَيَّبَتْ ظَنَّنَ الْحَبِّ فِينَا

فَتَوَارَى الْحَبُّ

فِي عُمُقِ السَّنِينِ،

وَلَقَدْ حَطَمْتَ جَهْلًا مَا بَيْنَنَا

فَاسْتَعَارَ الْحُلُمُ أَثْوَابَ الطُّنُوبِ.

لَا تُعُودِي الْيَوْمَ نَحْوِي

لَا تُعُودِي،

فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ حُرًّا مِنْ جُنُونِي،

وَأَنَا كَسَرْتُ عُودِي

وَتَخَلَّصْتُ بِعِزِّي مِنْ قُيُودِي.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تاريخ القصيد : صفاقس في أبريل 1966

أبو العلاء المعري في ديوان اللزوميات (2)

بقلم : عمار العوني

□ النقد الاجتماعي في لزوميات المعري :

إن الأبعاد الفكرية والفلسفية النقدية التي يمكن استخلاصها من ديوان اللزوميات لا تقتصر على القضايا والمسائل الماورائية الغيبية فحسب وإنما هي تشمل مختلف الجوانب الاجتماعية أيضا. فأبو العلاء المعري قد عبر عن موافقه الذاتية الواضحة في قصائد لزومياته من الانسان والدنيا والحياة والسياسة وأخلاق معاصريه علاوة على نقده لفساد الدين والشرائع والمذاهب والطبقية التي طبعت القرن 4 الهجري. وذلك ما أثري جوانب اللزوميات الشعرية والفلسفية بحيث كان المعري شاعرا جانرا وشاكا ومضطربا في تأملاته الماورائية كما كان ناقدا ومتمردا ونائرا في تحليله لمجتمعه ونقده بمختلف جوانب ومجالات العصر العباسي الثاني. فلقد عاصر أبو العلاء المعري مجتمعا منحط المجالات متدهور القيم والمبادئ الفاضلة فلم يستطع التأقلم معه بل إنه قد وجد نفسه غير قادر على الامتزاج بمزاج الناس الذين احتقروه ورفضوه فانتهى الى مقاطعتهم والتشهير بهم ورفضهم خصوصا وأنه قد درس مسألة الخساسة عند معاصريه. فكانت قضية الشر من أهم المقومات التي جعلته يرى الوجود الانساني مجرد خطيئة وخساسة وبالتالي إتهامه لوالده بعدما رأى وجوده جنائية ملقاة على أبيه لا غير :

هذا ما جناه علي أبي وما جنيت علي أحد

إن العصر الذي عايشه المعري - نعني به القرن 4 الهجري - قد عرف درجة قصوى من التآزم والانحلال خصوصا في الجانب القيمي إذ غلبت

الخشاسة طباع معاصريه وبالتالي فقد إتهم المعري الناس في عصره بالنفاق والكذب والمذاهنة بل لعله قد عمم صفة الخشاسة وألصقها بالانسان عموما منذ وجد على وجه البسيطة. وذلك إضافة الى تهجمه الهازيء على أمه الدنيا الخسيسة حيث قال متشائما :

خسست يا أمنا الدنيا، فأف لنا
بنو الخسيسة أوباش أخصاء
يموج بحرك والأهواء غالبية
لراكبيه فهل للسفن إرساء؟

إذن. لقد تأمل أبو العلاء الناقد وضعية مجتمعه فاستخلص أن الشر قضية رئيسية تميز أفعال الانسان وأعماله المختلفة في الوجود منذ أن خلق الانسان على وجه الأرض :

والشر في عالم شاهدهته خلق ما صدهم عن أداء الحر والخصر
إلا أنه رغم نزعة أبي العلاء التشاؤمية المطلقة هذه فإنه قد دعا معاصريه خاصة والانسان عامة إلى الإقلاع عن الشر وبالتالي الإقبال على فعل الخير. فبالرغم من أن المعري يعرف أن الشر صفة ملازمة للانسان ومتجذرة في طباعه وبالتالي تعوقه أنانيته عن إثبات الخير وفعله فإنه يعتقد أن الخير مفهوم ذهني بل إنه يعتقد أن صفة الشر قد تعوق الانسان عن فعل الخير :

والخير محبوب ولكنّه يعجز عنه أو يكسل
وأمام هذه المأساة البشرية التي طغى فيها الشر على الفعل الانساني نلاحظ أن أبا العلاء قد قدّم قاعدة ميثالية لفعل الخير - وذلك محاولة لتخطي حضور الشر في نفس الانسان - وهي أن يفعل الانسان الخير لذات الخير بدون أن يقصد المدح أو الرياء أو لينال أي ضرب من ضروب الجزاء وإنما حتى اذا لم يجز في الدنيا من طرف الناس فإن الله سبحانه متكفل بثوابه وجزاءه في الآخرة :

فلتفعل النفس الجميل لأنّه
خير وأحسن لا أجل صوابها

وإضافة إلى ذلك قوله :

فافعل الخير إن جزاك الفتى عنه وإلا فإله بالخير جاز

وإذا كان الخير صعب التحقيق بالنسبة لأبي العلاء باعتبار أن الانسان خسيس ومتطوع بالشرور والمخازي فإن المعري قد ظل حائرا أمام صفة «الشر» المميّزة للبشرية. فبعد تجربة واقعية معمقة متميزة بالقلق والألام والخيبات المتتالية انتهى أبو العلاء إلى أن الانسان شرير أصلا وأن الحياة والدنيا شرّ وشقاء وأنه لا سبيل إلى اقتلاع هذه الطبيعة - الشر - من الانسان ومحاولة إصلاحه فذلك هو المستحيل حقا. ولعل أبا العلاء قد اعتمد جملة من الظواهر المميّزة لأخلاق البشر لا سيما معاصريه من الناس للوصول إلى مثل هذا الحكم القاتم الناتج عن المأساة البشرية في الوجود، هذه التي دعمت نزعة المعري التشاؤمية تجاه الحياة والأحياء. ولقد كان شعور أبي العلاء العميق بهذا الشقاء والمأساة في الدنيا دافعا أساسيا للثورة على الوجود والانسان وبالتالي اعتبار النسل من مسببات الشرور والمخازي في الدنيا، ذلك أن الانسان عبد لغريزته وبالتالي فهو لا يريد أن يضع حدا لهذا الشقاء الدنيوي الوجودي. وهذا الوعي العميق بحقيقة المأساة الانسانية الناتجة عن التناسل قد جعل المعري يحذر الناس من نتائجها (أي المأساة) وبالتالي فهو يحاول تحريضهم على فعل الخير إلقاء لمصائب الدهر ونوائبه خاصة وأنهم فريسة للموت طال أجلهم أو قصر.

ولعل إصرار الانسان على الانصياع لرغباته وتلبية غريزة التناسل لديه قد عمق مأساة الوجود لديه، ذلك أن هذا الانسان الحيوان المنجذب إلى غرائزه قد كان دائما فريسة لشهواته وغرائزه :

والطبع يهوي إلى ما شان يطلبه لكن يجزّ إلى مازان بالمسد
وفي الغرائز أخلاق منممة فهل تلام على النكراء والحمد ؟

وإذا كان أبو العلاء المعري المتأمل قد احتار لتكيفية الانسان التي تغلبها الأهواء والشرور والمخازي :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من تراب

فإنه قد أكد أن الشرَّ صفة متجدِّرة في الانسان وملازمة له منذ القدم :

وكان الشرُّ أصلاً فيهم وكذا النور حديث في الظلام

ولعل استخلاص أبي العلاء أن الانسان مطبوع على الشرِّ كنتيجة حتمية لخساسة أمه الدنيا قد جعله يتهم الوجود بكل ما فيه من الأحياء والموجودان بالظلم، وهذه أقصى حدود تشاؤم شاعر اللزوميات فالدنيا في نظره ظالمة والأحياء الذين فوقها كلهم ظالمون :

قد فاضت الدنيا بأدناسها على براياها وأجناسها
وكل حي فوقها ظالم وما بها أظلم من ناسها

ولعل هذه المأساة البشرية في الكون المتعلقة بصفة الشرِّ المتجدِّرة في النفس البشرية قد تضاعفت في عصر أبي العلاء المعري (القرن 4 الهجري) باعتبار أن الناس في عصره متصفون بالشرِّ لا محالة ولكنهم جمعوا إلى مأساة الشرِّ، مأساة الجهل ذلك أن الجهل قد غطى الحقيقة عنهم الأمر الذي دعم مأساتهم :

ولما رأيت الجهل في الناس فاشيأتجاهلت حتى ظنَّ إنِّي جاهل

وهكذا نلاحظ أن المأساة الانسانية في لزوميات أبي العلاء الشعرية قد انقهرت في بنية القرن 4 الهجري الاجتماعية باعتبار أنها قد تداخلت بمأساة الانسان في العصر العباسي الثالث الشيء الذي جعل المعري يتهم معاصريه من الساسة ورجال الدين والعريّة والمرأة بالفساد والشرِّ والظلم بعدما سلك نزعة تعميمية إتّهم من خلالها الانسان في المطلق فكانت ثورته شاملة ضدّ السلالة البشرية منذ القدم. فهذه المأساة البشرية لم تكن غائبة عن الواقع الاجتماعي في القرن 4 الهجري الشيء الذي عمق تشاؤم شاعر اللزوميات وجعله بذلك يشنّ ثورة قائمة ضدّ مستويات الشرِّ في عصره. فلقد نقد أبو العلاء الوضع السياسي للدولة العباسية، ذلك الوضع الذي يميّز بالانخرام والانقسام خصوصاً لما اتسمت سياسة الوزراء والأمراء بالجور والاستبداد

والظلم الشيء الذي جعل المعري يسم ساسة عصره بالشياطين مؤكدا شرورهم
وخساستهم :

ساس الأتام شياطين مسلطة

في كل مصر من الوالين سلطان

فالمعري قد تأمل تأثيرات الانحلال السياسي في الميدان الاقتصادي وما
انجر عنه من طبقية وتأكد للحيف والظلم. ولذلك فإنه قد دعا معاصريه إلى
رفض إتباع الساسة علاوة على تشهيره بهم وبكل من له اتصال بهم من علماء
وشعراء ذلك أن هؤلاء الساسة قد أمعنوا في الظلم والاستبداد في مقابل عدم
إعتمادهم العقل :

يسوسون الأمور بغير عقل فينفذ أمرهم ويقال ساسة
فأف من الحياة وأف مئى ومن زمن رئاسته خسارة

وإذا كان أبو العلاء المعري قد عاصر ساسة ظالمين متجبرين فنقم
عليهم نظرا لشرورهم وخساستهم فإن نغمته هذه قد تحولت إلى ثورة حقيقية
عليهم باعتبار أنهم لم يستعملوا عقولهم في التفكير وممارسة الحكم. كما أن
شاعر اللزوميات قد أمعن في التشنيع بالساسة في القرن 4 الهجري
خصوصا لما اهتموا ولجبانهم - التي هي الاحاطة والرعاية - تجاه الرعاية بل
لعل ذلك ما جعل أبا العلاء المعري يضيق بمقامه في عصر العباسيين
المتدهور سياسيا واجتماعيا :

مل المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعاية واستجازوا كيدها وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

ومن هذا الأساس تجمع نقمة المعري الساسة والعلماء وكل فئات
المجتمع، ذلك أنه إذا كان مفكر اللزوميات شهير بالساسة فإنه قد تجاوز ذلك
لينقد مختلف الجوانب الاجتماعية مؤكدا أن أسباب عزلته متأنية من الانحلال
الاخلاقي والتردي القيمي الخطير الذي عرف به عصره :

وما عزلتي للناس من نمك

إنما أنت للذكراء محتجب

وممن ثم فإنَّ أبا العلاء قد عبّر عن ملامح إنْهيار القِيم السامية في عصره ذلك أن معالم الصدق والوفاء قد انتفتت في مقابل انتشار الكذب والرياء والتفائق خاصة لما طغت الغايات المادية الدنيوية على تفكير معاصريه في المجتمع العباسي :

وما أدب الأَقوام في كلِّ بلدة إلا المين، إلا معشر أدباء
ولذلك فلقد دعا شاعر اللزوميات الى الصدق والوفاء مع أنه متيقن سلفا
أن طبيعة الشر المتجذّر في الذات البشرية ستحول بين الناس في عصره
خاصة والانسان عامة وبين تلك المبادئ والقِيم المثالية السامية :

إن عذب المين بأفواهكم
فإن صدقي بغمي أعذب

ومن الملاحظ أن هذا التشاؤم العلائقي تجاه وضعية عصره الاخلاقية قد شمل المرأة أيضا باعتبار أن ثورة أبي العلاء المعري قد شملت المجتمع الاسلامي في القرن 4 الهجري بالتالي من الضروري أن نشير إلى أن المرأة قد مثّلت لدى أديب اللزوميات مظهرا من مظاهر الشر والغواية. فلئن كان المعري قد عمّم صفة الشر على الانسان في المطلق فإنه هنا يخصّص المرأة عامّة لا سيما المرأة في عصره فينعتها بالظلم والتسكّي :

أولات الظلم جنن بشرَ ظلم وقد واجهننا متظلمات
ولعل ذلك ما حدا بالمعري أن يجعل من المرأة طرفا في المأساة البشرية باعتبار أنها العنصر المغذّي للشرّ والخساسة انطلاقا من إغوائها للرجل وفتنها له :

فوارس فتنة أعلام غيّ لقينك بالأساور معلّات
ولهذا فإنَّ أبا العلاء قد ذهب الى حدّ التشهير بسلوك المرأة المتدنّي في عصره لما اعتبر أن الصلاة والعبادات لا يمكن أن تمنع المرأة من إتيان الشرور والمحرمات :

وليس عكوفهنّ على المصلّي أمانا من غوار محرّمات

ولقد بلغت حدة المأساة عند أبي العلاء ذروتها القصوى عندما دعا إلى
وند المرأة بل والتخلص منها وإنهاء وجودها تماما نظرا لأنها تمثل التناسل
والانجاب في حين أن التوالد يحقق التواصل الانساني هذا الذي يمثل عند
المعري مصدرا للشروع والبلاء والمفاسد. ومن هذا الأساس نلاحظ أن أبا
العلاء قد عاب على بني جنسه النسل وبالتالي فإنه قد ألقى الذنب على آدم
وحواء التي لو كانت عاقرا لما ولدت ولما وجد الشقاء على هذه الأرض :

فليت حواء عقيما غدت لا تلد الناس ولا تحبل

ولذا فإننا نلاحظ هذا الرفض العلاني للخطر للناس وللحياة والوجود
الذي يعبر عن موافقه الخطيرة من الانسان والمجتمع والدنيا والتي تنفي شرعية
الوجود بل تدعو إلى إنهائه بالتالي فالخلاص عند المعري من المأساة هو
العدم والافناء الكوني الشامل :

لو أن نفوس الناس رائية كراي نفسي تناءت عن خزاياها
وعطلوا هذه الدنيا فما ولدوا ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها

ولعل هذا الموقف الفكري الاجتماعي التي انتهى إليه المعري كان نتيجة
لفشله في إصلاح مجتمعه المتدهور الأمر الذي عمق تشاؤمه من الإصلاح
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
والتغيير :

لبيب القوم تألفه الرزايا ويأمر بالصلاح فلا يطاع
فلا تأمل من الدنيا صلاحا فذلك هو الذي لا يستطيع

وإذا كان المعري قد وجد أن دعوته لافناء الكون وإحلال العدم في
الوجود غير منطقية بالمرة فإنه قد دعا إلى الزهد ورفض الدنيا إضافة إلى
عبادة الله وإعترال الناس والوحدة آتيا وذلك في انتظار الحل الشامل الذي هو
الموت. وهكذا نلاحظ تفاعل المعري العميق مع مسأاته الذاتية من جهة ثم مع
المأساة الاجتماعية والانسانية في اللزوميات.

(1) هذه الأبيات مأخوذة من ديوان الشبية للمعري : «سقط الزند».

(2) الأبيات الشعرية مقتطفة من ديوان «اللزوميات» - المعري.

(3) الأبيات مأخوذة من ديوان «سقط الزند» - المعري.

(4) مقدمة ديوان «اللزوميات» - أبو العلاء المعري.

الجنّاح المكسور

غرّد الطّيْرُ على الأيْكِ جريحًا
دمُهُ القاني على ثغر الأفاحي
عاشق أنث لنبراس النجوم
ورقُ الأشجار غطّى ناظريك
رُبّ نجم بات يبكي حسرة
أين من عينيك آمال الصبا
خمرة الآمال فاضت في القداح
فأزح عن وجهك الحلو الوشاح
غائِمَ الجفن على تلك الجراح
مركب الأحلام في عنف الرّياح
فأعبر النّهر ولا تخش الرّياح

محمّد العياشي طاع الله

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>



من		
تراجم		بقلم
أعلام	خير الدين باشا التونسي	الأستاذ
وطني		عبد الكريم
- 1 -		العطاوي
	بسم الله الرحمن الرحيم	

1 - توطئة :

كان وطننا التونسي ولاية من ولايات الخلافة العثمانية التي أصيبت في آخر عهدها بالضعف والانحلال، حتى لُقِّبها الغرب «بالرجل المريض»، الأمر الذي جعل كلاً من فرنسا وانجلترا وإيطاليا تتسابق للفوز بتونس، وتحاول إيجاد الأسباب للاستيلاء على بلادنا، لكن هذه المؤامرات لم تكن لتغيب على الكثير من مفكري وطننا يومئذ.

2 - حياته وعمله : <http://Archivebeta.Sakhril.com>

وبخاصة على المصلح الكبير خير الدين باشا التونسي المولد حوالي 1225 هـ - 1822 م والمعدود من الأفاضل في تاريخ الاسلام قاطبة، وفي تاريخ تونس خاصة، والذي حاول جاهدا أن ينشر الوعي الاجتماعي في المجتمع التونسي، ويبصره بما يترصده من مخاطر، ويهدد أمنه من قبل الحركة الاستعمارية الغربية.

وأصل هذا الرجل الخبير بنوايا الاستعمار : «من قبيلة أبازة بجبال الجركس في الشمال الغربي من بلاد القوقاز بمنطقة نهر الكويان، وقعت على بيته غارة أودت بحياة أبيه، وحملته أسيرا إلى أسواق الرقيق بالأسنانة، وهناك اشتراه نقيب الأشراف فأقام بقصره مدة ثم عاد إلى سوق الرقيق، فألقته يد الأقدار إلى مبعوث من قبل باي تونس جاء ينتقي له مماليك، فحمله

إلى تونس، ودخلها سنة 1255 هـ - 1839 م في صدر مدة المشير الأول أحمد باشا فانخرط في ملك ممالكه، وتربى في قصره بباردو.

3 - تعلمه :

وتعاطى حفظ القرآن وقراءة مبادئ العلوم، ثم دخل المكتب الحربي الذي أسسه أحمد باشا بباردو لتخريج ضباط عسكريين أكفاء للمهمات العسكرية عن الأساليب الحديثة بتعليم أساتذة من الضباط الفرنسيين، وهناك تعلم اللغة الفرنسية، وقرأ العلوم الرياضية، فظهرت نجابته، وترقى في الملك العسكري بالخيالة حتى صار أمير آلي، ثم أمير لواء الخيالة سنة 1266 هـ وقد اكتسب اطلاعا على أحوال الأمم الأوروبية بممارسة أساتذته بالمكتب الحربي.

4 - نزعتة السياسية :

وبدأت نزعتة السياسية تتجه نحو الاستياء من حالة الانحلال والتأخر التي كانت نازلة بالأمّة الإسلامية⁽¹⁾.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

عندئذ أخذ يميل إلى الأفراد القلائل المعروفين في حاشية المشير أحمد باشا، أمثال الوزير مصطفى صاحب الطابع والكاتب الشيخ أحمد بن أبي الضياف قصد إصلاح الحالة الاجتماعية المتدهورة، وبذلك انتقل من مباشرة القيادة العسكرية إلى الالتحاق بحاشية المشير أحمد باشا برتبة أمير لواء، وأصبح المنظور إليه في المشاكل السياسية، لا سيما ما يتعلق منها بالعلاقات الأوروبية، وبذلك أظهر له الوزير مصطفى خزندار الاعتناء الكامل حتى اختص به وصاخره على ابنته فيما بعد على ما كان يبدو بينهما من اختلاف وجهة النظر.

(1) ابن عثور : محمد الفاضل / تراجم الأعلام / 47-48.

5 - عمله الاصلاحى الكبير :

«وفي سنة 1270 هـ - 1854 م أناط الباى بعهدته مأمورية الدفاع عن الدولة التونسية في قضية (محمود بن عياد التونسي) الذي هرب أمواله إلى باريس، ثم التحق بها بحجة التداوى، فاعتنق الجنسية الفرنسية، ورفع دعوى مطالبا الدولة التونسية بستين مليوناً فرنكاً ثمن مشتريات كان قدّمها لها ولم يقبض ثمنها. فقام خير الدين بمأموريته خير قيام بباريس، طيلة أربع سنوات وأثبت بطلان تلك الدعوى، وانتهت بتحكيم لجنة برئاسة (نابليون الثالث) فقضت بحكم أعاد لتونس من المدعى مبلغ 24 مليون فرنكاً»⁽²⁾.

ولم يقتصر عمله على متابعة المحاكمة فحسب، بل اكتسب معرفة عالية، أوفقته على مبلغ التمثّن الحديث الذي بلغته أوروبا، فازداد تعلقاً بمسيرة المدنية الأوروبية في حياته الشخصية، وفي أفكاره العامة من ناحية، وحنفاً وغيضا على النية الخبيثة التي كان يبيّنّها أعداء الشعب التونسي من الحركة الاستعمارية وأعوانها كمصطفى بن اسماعيل من ناحية أخرى. الأمر الذي أدّى بالمشير محمد باشا بأن أقرّه على مأموريته الدقيقة التي ظهرت نتائج مساعيه فيها للعيان، ورفّاه إلى رتبة أمير لواء وهو غائب في باريس، وعند رجوعه نهائياً من باريس سنة 1274 هـ - 1857 م تقلّد وزارة البحر : «وانضم كعادته إلى العاملين في سنّ القوانين التأسيسية للمملكة، وهي قوانين عهد الأمان، وظهرت في ذلك الميدان مقدرته السياسية، وتفوّقه في الاخلاص للأعمال الاصلاحية تفوقاً لا يجارى، فكان القطب الذي دارت عليه تلك التأسيسات العظيمة، وزاد ذلك في رسوخ قيمته السياسية العالية»⁽³⁾.

«ولما ولي المشير الثالث محمّد الصادق باشا سنة 1276 هـ - 1859 م انتخب للنيابة عنه لدى الخلافة العثمانية في طلب أمر الولاية، فسافر في ربيع الثاني سنة 1276 هـ، وشيّع الباى بنفسه إلى مرسى حلق الوادي.

(2) ابن عامر : أحمد / تونس عبر التاريخ / 301-302.

(3) ابن عاشور : محمد الفاضل / تراجم الأعلام بتصرف / 50.

وفي سنة 1277 هـ - 1861 م انتخب خير الدين كاهية رئيس للمجلس الأكبر، ثم رئيسا له، إثر وفاة رئيسه مصطفى صاحب الطابع، مع الاستمرار على مباشرته لوزارة البحر، وقد كان انعقاد المجلس ونظام الشورى ميدانا فسيحا لاطهار مبادئ خير الدين الإصلاحية، والمكاشفة بانتقاده على الأساليب التي كانت سائدة فيها الدولة يومئذ⁽⁴⁾.

وكان هذا هو السبب في اشتداد الخلاف بينه وبين صهره الوزير مصطفى خزندار الذي كان يريد أن تستمر الحالة على ما هي عليه، إلا أن هذا الاتجاه قد جوبه بمعارضة صلبة من المصلح خير الدين الذي رأى من الأحسن لخطته الإصلاحية أن يقدم استقالته من وزارة البحر ورئاسة المجلس، ويتفرغ لانجاز وإبراز أفكاره الإصلاحية الخالدة في كتابه القيم: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك... «الذي استعرض فيه حالة تمدن الممالك الأوروبية ونظمها السياسية، ومنشأ نهضتها وعمرانها، مقارنا لحالتها الزاهرة بالحالة السيئة التي عليها الممالك الإسلامية، ومبيناً أن أصول الشريعة الإسلامية تقتضي ما عليه ممالك أوروبا من النظام والتقدم، لا ما عليه الممالك الإسلامية من اختلال وتأخر، وقد أتم تأليف كتابه سنة 1284 هـ - 1867 م وطبع بتونس وترجم القسم الأول منه إلى الفرنسية، وطبع في باريس العام الموالي⁽⁵⁾».

وقد تطورت الأحداث فيما بعد كما وضحها الشيخ الفاضل بن عاشور في كتابه تراجم الأعلام من سيء إلى أسوأ، وجيء بخير الدين مرة ثانية لانقاذ البلاد من الاضطرابات الداخلية، ومن اختلال النظام الاقتصادي، وانتشار المجاعات والأوبئة وسقوط ميزانية الدولة إلى هوة الافلاس وانتصاب اللجنة الدولية لمراقبة المالية المشهورة بالكومسيون المالي، فتولى رئاسة لجنة المالية، ومباشرة رئاسة الحكومة وشؤون الوزارة الكبرى، ملقياً بالنفوذ كله بيد صهره الوزير خير الدين، فتم ذلك في شعبان 1286 هـ -

(4) نفس المصدر بتصرف / 50-51.

(5) ابن عاشور: محمد الفاضل / تراجم الأعلام / 52.

1869 م، ولكن الخلاف الذي نشأ بين الصهرين مدة مباشرة رئاسة المجلس الأكبر لم يلبث أن عاد بينهما مرة ثانية، فأصبح الوزير خير الدين الضد الرسمي للوزير خزندار، وزاد في تكدير العلاقات بينهما ما وقع من تصرفات الوزير خزندار على خلاف النظمات المؤسسة عليها للجنة المالية، حتى أفضى هذا النزاع الشديد إلى تخلي الوزير مصطفى خزندار، وتولى خير الدين وزيراً أكبر عوضه في شعبان سنة 1290 هـ - 1873 م. وقد تقدمت خير الدين في الولاية سمعة طيبة ضاربة أطنابها في أرجاء الآيالة من موافقه المتسلسلة من صدر الدولة المشير الثاني في تأسيس عهد الأمان إلى موافقه الأخيرة بعد عشرين عاماً في تسيير «الكومسيون» فظهرت علائم الابتهاج بهذه الولاية بين عموم طبقات الشعب الذي أظهر ذلك في الحفلات الشعبية التي أقيمت بالعاصمة والقيروان وصفاقس وباجة وبنزرت وتوزر، ومن يومئذ وجد نفسه وحيد المسؤولية، فشمر على ساعدي الجد في طريق الإصلاح المنشود للناس الميسطور برنامجاً في كتابه : «أقوم المسالك»، فظهرت بؤادر المشروعات الآتية منها : تأسيس مدرسة الصادقية، وتعمير مكتبة العدلية، ونظام العدالة، ونظام المحاكم الشرعية، ونظام التقادير، وتأسيسه جمعية الأوقاف، ومن قانون الغاية، ومن قانون الخماسة، وإصلاح نظام السجون، وتأسيس الخزنة العامة لأوراق الدولة، والإصلاحات البلدية بمدينة تونس، والتنوير بالغاز، وإسقاط المغارم على أهل الساحل، وتوحيد فائض ديونهم، ونصبه صندوقاً في الساحة العامة بتونس ليضع الناس فيه شكاياتهم، وهم مطمئنون إلى أن مظالمهم ستزال، لأن مفتاح ذلك الصندوق بيد خير الدين الذي كان يدرس تلك الشكايات بعناية، ويرد الحق إلى صاحب الحق، وإبرامه المعاهدات القمرية الحامية للصناعات الأصلية، وتوسيع ساحة الأراضي المبذورة بالمملكة من 60 ألف هكتار إلى نحو المليون هكتار.

فقد لاقت هذه الإصلاحات العظيمة ترحاباً وتأييداً شعبياً تلقائياً من طبقات الأهالي التي لم تزل تعرب له عن تقديره مرة بحفلة أولياء تلامذة المدرسة الصادقية بمقام سيدي محرز، ومرة بتقديم المصحفين العظميين : أحدهما للمشير الثالث محمد الصادق، وثانيهما لوزيره خير الدين، وأخرى

بتقديم التجار وأهل الصناعة للوزير منضدة مكتب بديعة اعترافا بفضله على الاقتصاد العام.

6 - موقفه من الشائعات المدسوسة بينه وبين الباي :

إلا أن هذا العمل العظيم الذي قوبل بالاعتراف الجماهيري الكبير قد أساء الاستعمار وأعوانه الذين تحركوا لمهاجمته، وبث الشائعات الكاذبة المتمثلة في إيجاد خلاف مفتعل بينه وبين الباي، مما اضطر الملك إلى نشر مكتوب أدرج بالرائد الرسمي ثلاث مرّات لنفي ما يروج على ألسنة الناس من توتّر العلاقات الكاذبة بين الباي ووزيره، ولتأييد ثقته فيه ابتكر نيشان عهد الأمان المرصّع وقّده إياه مع بعض أعضاده من الوزراء في موكب مشهود في شوال سنة 1291 هـ - 1874 م، ولكن مع هذا كلّه لازالت المحاولات المغرضة جادة للتخلص من وزارته، وهو لا زال يقابلها بالصمود والثبات على مبدئه، وشرح منهاجه الإصلاحى للملك، وما يحوط سعيه من الدسائس حتى وجد نفسه أخيرا مضطرا إلى التخلي عن مباشرة الوزارة بعد أن قام بها أربع سنين إلا شهرا، فتقدّم إلى المشير باستعفائه في مجلس خاص سنة 1294 هـ - 1877 م، ومن ثم انقطع لشؤونه الخاصة ولتحرير تاريخ حياته، وبيان مواقفه في أساليب متنوعة.

7 - تحوله إلى الأستانة ووفاته :

وكان على اتصال مستمر بالأوساط السياسية العليا في الأستانة، وخاصة بقصر السلطان بواسطة الشيخ محمد ظافر الطرابلسي شيخ الدرقاوية، والمقرّب من السلطان عبد الحميد الثاني الذي تقررت عنده المكانة السامية التي كان عليها الوزير خير الدين باشا، وتحقق لديه سمو البرنامج الذي تضمنه كتابه : «أقوم المسالك»، فرغب في إدخاله في الحكومة العثمانية، فاستدعاه فلبنى دعوته بعد أن استأذن من المشير محمد الصادق باشا، ووصل إلى الأستانة سنة 1295 هـ - 1878 م «فلقى حظوة فائقة من قبل السلطان عبد الحميد الثاني تمكن بفضلها من تقلد الرتب العالية

والمناصب السامية، ومنها الصدارة العظمى أي رئاسة الوزراء، وتوفي هناك سنة 1308 هـ - 1889 م،⁽⁶⁾.

8 - الخاتمة :

والحاصل لدينا أن خير الدين باشا التونسي كان على جانب كبير من الذكاء والنباهة الفطرية، ومن الشعور بالمسؤولية العظمى التي كانت تدفعه من حين لآخر لإنقاذ وطنه التونسي الذي أصيب في فترة ما من تاريخه بعصاة سوء أشرار، أمثال مصطفى خزندار، ومصطفى بن اسماعيل ومحمود بن عياد ونسيم شمامة وإلياس موصلي، ولصوص آخرين كثيرين. تأمروا عليه ودفعوه إلى حافة الافلاس والاضطراب. ولولاه لوصل إلى هوة عميقة لا مخرج منها.

إلا أنه أخذ على عاتقه، إنقاذ وطنه من هذا المأزق بنظرة إصلاحية علمية، استمدها من الدين الاسلامي، ومن وقوفه مباشرة على أحوال الممالك الأوروبية، وعلى نظمها السياسية والاجتماعية، وعلى تقدمها ومدنيّتها التي تتفق وما تقتضيه الشريعة الاسلامية. بهذه الفطرة الإصلاحية المتجمعة لديه آل على نفسه أن يوجدها في وطنه التونسي. وفعلا أوجد الكثير منها معنوية كانت أو مادية، وسط ظروف صعبة مناهضة لفكرته تلك، إلا أن صبره وصموده وعمله الاصلاحى المستمر أكسبه ثقة رؤسائه : المشير الأول أحمد باشا، ومحمد باشا، ومحمد الصادق باشا، ومناصرة الجماهير الشعبية له بالتأييد والمباركة وإقامة الحفلات التلقائية في كل مدينة من المدن التونسية الكبرى، وحمل الهدايا الرمزية مثل مصحف القرآن العظيم، ومنضدة مكتب بديعة من التجار تعبيرا عن محبتهم له وذلك لوقوفهم مباشرة على أعماله الجليلة تجاه وطنه الذي احتضنه، وقّم له كثيرا من الخدمات التربوية والعلمية التي أوفقته فيما بعد على تلك الحالة السيئة التي وصل إليه بسبب تصرف مسؤولين، أعماهم الشرّ وحُب الذات، فراحوا ينهشونه نهشا.

(6) بن عامر : أحمد / تونس عبر التاريخ / 304.

أمثال : مصطفى خزندار ومحمود بن عياد ومحمد الصادق باي وغيرهم كثير كما أشرت إلى ذلك قبل حين.

قال خير الدين عند استقالته الأولى واصفا أعمال هؤلاء الأشرار : «لقد حاولت أن أسير بالأمر في طريق العدالة والنزاهة والاخلاص، فذهب كل مسعاي سدى، ولم أشأ أن أخدع وطني الذي تبئاني، بتمسكي بالمناصب، ورأيت أن الباي وعلى الأخص وزيره الرهيب العظيم الجاه مصطفى خزندار، لا يلجأ إلى التشريعات الإصلاحية إلا لتبرير سيئاتهما تبريرا قانونيا، فقدمت استقالتي سنة 1279 هـ من رئاسة المجلس، ومن وزارة الحربية وعدت إلى حياتي الخاصة»⁽⁷⁾.

ومازال مصطفى خزندار يستنزف موارد البلاد حتى نصب معينا فاتجه إلى أوروبا يستدين منها، وفي أقل من سبع سنوات بلغ الدين 150 مليون فرنك»⁽⁸⁾.

ولما تولى خير الدين باشا رئاسة اللجنة المالية من جديد، بطلب ملح من الباي محمد الصادق باشا لاقفاء البلاد من الافلاس، واجهته مشاكل عديدة، وفي مقدمتها مشكلة مصطفى خزندار الذي زادت فضائحه وانكشفت للرأي العام، فالح الناس بوجوب عزله، فعزل من منصبه، وأصدر خير الدين قرارا بمحاكمته على ما اتهم به، فحوكم وألزم بدفع خمسة وعشرين مليونا فرنكا.

هذه المواقف البطولية التي وقفها خير الدين لاجراء وطنه من الهوة العميقة، حركت خصومه السياسيين لاجاد بعض التهم الباطلة، وإصافها عمدا بخطه الاصلاحى السياسى، قصد تشويه سمعته في الداخل والخارج، نذكر من بينها : (1) منحه لشركة فرنسية بمد خط حديدي يربط بين تونس والجزائر، وهو يعلم مطامع فرنسا نحو بلاده، (2) بيع أملاكه للفرنسيين. إلا أن الحقيقة التاريخية تثبت نقیض هذا الزعم الباطل.

(7) أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث / 157.

(8) نفس المصدر السابق / 165.

أما منحه الخط الحديدي لشركة فرنسية، جاء بعد أن اتصل بشركات انكليزية وغيرها فرفضت هذا العمل، ولم يمنح مع ذلك الخط لتلك الشركة الفرنسية إلا بعد موافقة مجلس الوزراء.

وأما بيع أملاكه للفرنسيين كان بعد أن ترك أسرته وماله في حماية من لا يوثق بهم : وقد أراد أن يبيع كل هذه الأملاك لعزمه على الاستقرار في الأستانة، فعرضها على الحكومة التونسية أولاً فأبّت شراءها، فأمر وكيله أن يعلن الأهالي التونسيين بخفض أسعارها، فلم يتقدّم أحد خوفاً من الباي ورجال حكومته، فلما اضطر إلى بيعها للفرنسيين بعد سنة من إعلانه نقده نقداً مرّاه⁽⁹⁾.

حرر بحي ابن خلدون بتونس

في 18 جمادى الأولى وفي 8 جانفي سنة 1408 هـ - 1988



(9) نفس المصدر السابق / 179.

سَاجَمُعُ مِنْ طُوبَى الْعَطْرِ كُنَّةً
أَغْمَسُهَا فِي مَيَا عَذَابٍ ..
سَاصْنَعُ مِنْهَا بَيُوتًا كَثِيرَةً ..
تَفُوحُ وَرُودًا وَمِلْيُونَ زَهْرَةٍ
وَأَرْسُمُ وَجْهَ الْمَدِينَةِ فِي شَكْلِ تَفَاحَةٍ أَرْزَلِيهِ
وَفِي عَطْرِهَا تَسْبِيحُ سَفَرٍ تَحْرُسُهَا
عُيُونُ الطُّفُولَةِ ..

★ ★ ★

عُيُونُنَا بَحْرٌ ..
وَفِي رَسْمِهَا أُمْنِيَّاتٌ كَثِيرَةٌ
يُبَاغِتُكُمْ سِلْمُنَا صَبْحًا وَلَيْلًا
أَبْيَضُ .. أَبْيَضُ .. أَبْيَضُ !
فَتَنْسَلُ رَائِحَةُ الدُّنْبِ فِيكُمْ
تَقْرُ .. تَقْرُ .. تَقْرُ
وَيَبْطُوي سَجَلَاتِ عَهْدِ الْقَطِيعِ ..
وَتَفْتَحُ أَبْوَابَ رَحْمَتِنَا ..
وَيُعْذَمُ صَوْتُ الْعِبَادِ
يُغَارِلُ مَرْقَدَكُمْ أَجْمَعِينَ ..

★ ★ ★

سَتَكْتُبُ جَهْرًا ..
سَتَكْتُبُ سِرًّا ..
سَتَكْبُرُ .. تَكْبُرُ يَوْمًا فَيَوْمًا
وَتَقْطِفُ رَأْسَ الْخَدِيعَةِ .. رَمِيَا ..
فَتَنْتَبِثُ زَهْرَةَ عَشْقِ الطُّفُولَةِ !
هُوَ الْعَشْقُ يَسْكُنُ قَلْبِي صَغِيرًا
فَكَيْفَ التَّخْفِي .. وَفِي لُغْنِي يَسْكُنُ،
صَوْتُ الْبَرَاءَةِ ..؟

بقلم : دليلة الزيتوني

من ضريبة الكتابة

الاهداء : إلى رفيقتي ورفاقي في مملكة الحزن وجنونها الرائع.

رأسها حطام أعصاب وكل شيء حولها فاقد للونه وطعمه الحقيقي :
الصدافات، الزمالة، الحب... الكل يغوص في الزيف، في النفاق، في
الاستغلال. الابتسامة التجارية المرسومة على كل الوجوه غدت ميزة العصر
وشعار كل الناجحين في هاته المدينة التي تعج بالدمى «البلاستيكية» هاته
المدينة التي أصبحت شبيهة بالسرك أو بحفلة تنكرية حيث يتوارى كل إنسان
وراء قناع وفي أغلب الأحيان أكثر من قناع!

ماذا يمكن أن يحدث في هاته المدينة التي تغتال البراءة والطهر لطفلة
متمردة بلا قناع ترفض أن تكون تمية معروضة في واجهات مغازاتها؟

ماذا يمكن أن يحدث لهاته الطفلة التي ترفض قانون العرض والطلب
وترفض ارتداء القناع؟ ماذا يمكن أن يحدث لهاته الطفلة الحقيقية الهاربة من
متاحف الشمع والتي لا تمنح غير أحاسيسها الحقيقية الطازجة لأنها ما
استطاعت يوما استيعاب الأحاسيس المعلبة ولا استعمال المكابح في علاقاتها
الانسانية وما استطاع صخب المدينة وعهرها أن يغتال بذور الطهر والبراءة
فيها. ماذا يمكن أن يحدث لهاته الطفلة غير أن ينعتوها بالشذوذ والجنون وأن
يلصقوا بها شتى التهم. ما دروا أنهم هم المجانين الحقيقيين في هاته المدينة
وأن مكانهم الحقيقي هو مصحات الطب النفسي. إنهم مرضى الحسد والعقد
النفسية والغيرة. لذلك لن تكثر لثرثرتهم وأقاويلهم المغرضة في زوايا
المكاتب وعلى أرصفة المقاهي لأنهم لا يملكون غير ذلك وتلك النعمة الوحيدة
التي حباها بها الله فلن تجرأ على انتزاعها منهم وهي التي حباها الله بشتى
النعم.

ستبدأ في إزاحة الأفعنة، ستعريهم واحدا، واحدا وواحدة، واحدة. هؤلاء الذين يثيرهم صدقها وتشعل غيظهم كتاباتها لأنهم يشعرون أنها تفرع نواقيس الخطر وتفتح أعماقهم الصدئة وتخرق أفئنتهم السمكة لتنفذ إلى أغوارهم المرعبة التي يحكمون غلق أبوابها ونوافذها كي تغريها وترسمها على الورق.

إنه قدر كل امرأة ذكية ما استطاعت فصل عقلها عن جسدها وشل حركته الدائمة. حرمتها الحياة نعمة الغباء وأخرجتها من متاحف الشمع لتزج بها في أروقة الفكر ودروبه الوعرة وفي صحاري الغربة والصدق الانساني. ذلك الصدق الذي لا تستسيغه النفوس المريضة التي اعتادت الزيف. ذلك النهر الذي ما أن تذوق شرابه حتى يغنيك عن كل شراب. ستحذاهم جميعا لن يحبطوا عزيمتها. لن يعرفوا سيرها، ستظل تتقدم بثبات وترتقي أقوى فنباح الكلاب لا يعرف سير القافلة. ستظل صادقة وحقيقية شامخة تتحدى نقمة الحاسدين وأباطيل المغرضين وتصبح في أفئنتهم المتعددة : لي التاريخ وأنتم لكم زيفكم وخداعكم. من أنتم : جثث موتى تنتظر الدفن لذلك فقدت التواصل معكم ولذلك لن تفهموا لغتي لن تدركوا معاناتي. رفيقاتي ورفاقي في واحة الكلمة المبدعة هم وحدهم القادرون على ذلك.

• في العدد القادم :

- الوجود الالهي وكيفية البرهنة عليه

بقلم : عمار بن بلقاسم

- المسرح الذهني عند توفيق الحكيم

والرؤيا المأساوية في مسرحية شهرزاد

بقلم : الحبيب الناغوتي

مخاض

شعر : جمال محرز

الزنا ببق .. تعرف أوتار أوجاعها ...
والمدى ؛
شبق شاحب الوجه .. يختزل الأمنيات ..
ويللم جرح الحساسين ..
إذ .. تحتمي موتها لوعة ..
في لظى الصبوات
أيها الشاهر سيفه ومضة ..
بين جمر الندى .. وأسى الأغنيات
إن .. ذا زمن
أنت فيه النبي / سيد
فاخضن الورد المشتهة ..
وانتش ..
بعصير السكينة ..
لن تسكن الموت وحدك !
دمعك .. / الغربة
تستهيك المرايا
تحاصر الكلمات ..
ونبض القوافي ..
يشرذ في دمك الأقواني .. نبذ السؤال ..
موغل في المدى .. قمر الأغنيات
عرسك البوح ،
نشيد السنايل خطوتك .. الجلنار الشهى
يؤسس مملكة العري فيك ..
فتفضحك الحشرات ..



يحرك .. الأرجواني .. الذي اخترق غيمة الياسمين
 يلاطف أمواجك العاتيات ..
 ويقذف في حبّ الجرج
 سكينه الوجد المدلهم بخصر النواصي ..
 ويغثال من صدرك الذكريات ..
 الفجيعة تنفض منك ..
 وتطلق قداسها للرياض ..
 فتنداح عن وجهك الأقحواني ..
 غيوم المساء الموشاة بالبرق والاختناق ..
 ويجتاح غصنك نسغ السواقي ..
 يبلل طوق الفصول
 يغيّر طعم الحقول ..
 فتغتابك البسمات ..
 ويشرق وجه البساتين فيك .. / الفراديس
 تخجل من طهرها ..
 والقرنفل يبيض بين صلاة الرياحين .. والصبوات
 فينتابك الشفق القزحي الصفي ..
 وتطفو على ثغرك البسمات ..
 وتساقر أنشودة الليل فوق جناح المنير ..
 تعانق سجادة الرعنى الليلكي على
 صهوة الراج والشهوات ..

● في العدد القادم :

- الخلاص - مسرحية في مشهد واحد ... لـ : مجدي بن عيسى
 - نغاثات قلب متعب - قصة قصيرة لـ : عايدة بن جنات

في الأدب العالمي

الكسندر بوشكين شاعر روسيا الوطني

بقلم : الحبيب الدريدي

تمر هذه السنة خمسون ومائة عام على وفاة الكسندر بوشكين الذي اقترن اسمه بروائع الشعر الوطني الروسي الذي أهله قبل غيره من الشعراء الروس لينال بكل جدارة واستحقاق لقب شاعر روسيا الوطني.

لقد سخر بوشكين جميع الامكانيات المتاحة لديه للنهوض بالأدب الروسي وتطويره وقد خاضه طويلا فكرة إصدار مجلة أدبية دورية فأعد لذلك خطة مستقلة تتماشى والتزاماته الأدبية وتتلاءم مع ارتباطاته في الحياة وقد أصبح مسكونا أكثر بهذا الهاجس بعد توقف مجلة «غازيت الأدبية» عن الصدور سنة 1831 وانسداد باب كبير من أبواب النشر أما الكتاب والشعراء في روسيا.

وقد كان بوشكين يعلق آمالا عريضة على صدور هذه الدورية إذ كان يعتقد أن ذلك سيمكّنه من رصيد مالي محترم يساعده على تجاوز الضائقة التي كان يعيشها فأقر العزم في صائفة سنة 1831 على الحصول على الموافقة لإصدار جريدة أدبية وسياسية لكن ذلك لم يتيسر له ولم يتم إلا في خريف عام 1832.

إلا أن بوشكين لم يكن ليملك الامكانيات المادية التي تخول له تمويل مثل هذا المشروع فأخذ قرارا في نهاية عام 1835 بصرف النظر والتخلي

عن فكرة إصدار الجريدة والتجأ إلى السيد «بينكندروف» يطلب منه رخصة لإصدار مجلة فكتب إليه يقول :

«أجيز لنفسى أن أتقدم لأطلب من شخصكم الكريم طلبا متواضعا إذ أنني أنوي في العام القادم - ويقصد سنة 1836 - إصدار أربعة مجلدات حول مواضيع أدبية صرف من قصص وأشعار وغيرهما إضافة إلى مجلات تهتم بالنقد والتاريخ والثقافة لكتاب روسيين وأجانب نسجا على منوال المجلات النقدية الفصلية الانكليزية ... واعتبار إلى غياب مساهماتي بأية مجلة من مجلاتنا في روسيا فإنني أعيش بدون مورد مالي. لأجل ذلك فإن استقلالي المادي لن يؤمنه ويضمنه إلا صدور مثل هذه المجلة الشيء الذي سيمنحني القدرة على المواصلة والاستمرار في العمل الذي بدأت به ...

وقد قوبل طلب بوشكين بالإيجاب والموافقة إذ أن لجنة الرقابة في مدينة بترسبورغ تلقت تعليمات من وزير الثقافة الروسي آنذاك يوفاروف يطلعهم فيها على خطة بوشكين لإصدار المجلة ويشرحها لهم ويحيطهم علما كذلك بموافقة الشخصية طالبا منهم في الآن نفسه أن يقع عرض المجلة على الرقابة تطبيقا للقوانين المعمول بها في هذا الميدان آنذاك.

وبقطع جميع هذه المراحل خرجت مجلة بوشكين على الناس ولكن لسوء حظ بوشكين لم تستمر سعادته بظهور مجلته طويلا فقد باغتته الموت وبوفاته تلاشت طموحاته ومخططاته الرامية لتطوير المجلة التي صدرت أول مرة في عام 1836 فقد ظهر منها قبل وفاته أربعة أعداد فحسب أما العدد الخامس منها فقد صدر بعد موت بوشكين الذي كان يعد بنفسه الموضوعات الثقافية فيها ويتولى الاشراف عليها.

وإثر موته قام أصدقاؤه مطالبين بالسماح لهم بإصدار المجلة لفائدة عائلة بوشكين. وقد ظهر على الصفحة الخاصة بالعناوين في العدد الخامس تنبيه إلى قراء المجلة يشير إلى أن اسم المجلة قد تغير ليصبح «مجلة بوشكين الأدبية المعاصرة».

وقد حظيت حياة بوشكين وشعره باهتمام بالغ ومتزايد من النقاد والدارسين إذ يقول الكسندر هيرزن : «لشعر بوشكين هدير البحر أو صفيح أشجار الغابة في يوم عاصف لكنه في ذات الوقت متألق وواضح وواقعي...».

ومن جهة أخرى يقول الناقد فيسارين بيلنسكي : «إن شعر بوشكين مشبع بالمعاني وهو أشبه بقطعة الكريستال المشبعة بضوء أشعة الشمس...».

ويذهب نيكولاي تشيرنفسكي إلى القول بأن «بوشكين يعتبر أول شاعر في نظر الشعب الروسي يحتل المكانة الرفيعة التي يمكن أن يحتلها كاتب كبير في بلده الأم».

ولم يكن بوشكين ليحتل مثل هذه المنزلة ويتبوأ هذه المكانة عند النقاد والقراء والدارسين والمهتمين لولا ما اتسم به شعره من عمق وثراء وما قدمه من مزايا وخدمات جليلة للأدب واللغة الروسيين وفي هذا الصدد يقول عنه سرور محمد في صحيفة «الثورة العراقية» : «فمن خلال شعره يبرز ثراء وقوة ومرونة اللغة الروسية وبوشكين أكثر من غيره وتشعر من حدود هذه اللغة وكشف بكثير من الوضوح عن آفاقها فكان ظاهره غير اعتيادي في الأدب الروسي...».

وإن اتفق أن تتسم أشعار بوشكين بميزة فنية فإن هذه الميزة لن تكون غير التوافق الحي والتناغم الكلي بين الشكل والمضمون فضلاً عن رقة في الاحساس وضفة في الأوزان تميلان على النقاء والعذوبة اللذين يتميز بهما الفن الروسي والشخصية الروسية بصفة عامة.

البناية المسرحية في تونس

اعداد : الحبيب التاغوتي

التخطيط :

- 1 - مفهوم البناية المسرحية
- مكونات البناية المسرحية
- ضرورة البناية المسرحية
- البناية المسرحية في تونس
- كشف توضيحي عن قاعات العروض الكائنة بالولايات
- ملاحظات عامة.
- 2 - دراسة نموذجية لمسرح مدينة تونس
- رسم بياني للتطور العددي لجمهور مسرح مدينة تونس
- استنتاجات
- مكونات المسرح البلدي لمدينة تونس
- اقتراحات
- ملاحظات

مفهوم البناية المسرحية :

يُعرف باتريس بافيس⁽¹⁾ البناية المسرحية على أنها المكان الذي يجمع ما سَمَّاهُ بالمكان المسرحي Lieu théâtral والذي يحدّد موقع البناية المسرحية

(1) Patris Pavis

بالنسبة للتجمع السكني الذي وجدت فيه (أمثال المسرح البلدي وموقعه من مدينة تونس)، أما الفضاء المسرحي Espace théâtral الذي هو يشتمل على القاعة والركح بما في ذلك مقاعد الجمهور، ثم يأتي تعريفه للمكان الركحي Lieu Scénique على أنه الركح ومكوناته، أما الفضاء الركحي Espace Scénique وهو فضاء اللعب، ومقترن أساسا ببداية اللعب.

مكونات البناية المسرحية :

إن تطوّر البناية المسرحية، لم يكن بمعزل عن تطوّر المسرح منذ أن كان مجرد احتفالات دينية إلى أن أصبح فناً متكاملًا له مكوناته، فعندما كان المسرح مجرد رقصات قديسة يقوم بها الكورس حول مبنى ديونيزوس لم تكن البناية سوى حلقة حول ضريح دالة الخمرة والخصوبة، ثم تطورت هذه البناية بتطوّر شكلي الدراما (التراجيديا والكوميديا) والتي هي لم تكن إلا وجهها من وجوه الطقوس الدينية التي كانت تقام في عيد ديونيزوس، وقد كان التياترون الاغريقي يقع على المنحدر الجنوبي جبل الأكروبول، وكان لنحو 17,000 متفرج.

تطوّر المسرح وأصبحت هناك مباريات وجوائز وازداد إقبال الجمهور على المسرح الذي أصبح يتناول قضاياها وبالتالي تطورت البناية المسرحية طبقا لهذه التحولات إذ أصبحت البناية المسرحية تخضع لطرق العرض إذ نجد أنها تتكوّن من الأوركسترا وهي حلبة الرقص وهي على شكل دائرة يتوسطها هيكل ديونيزوس، وهو المكان الذي يقف فيه الكورس الذي يرمز إلى صوت الشعب.

وفي النهاية السفلى من التياترون على الجانبين كان هناك Parados، أو الممشى الفسيح ويستخدم عادة لدخول وخروج الجمهور، ومجموعة الكورس (الممثلين) وبهذا تكون الأوركسترا الدائرية تقابل عندنا خشبة المسرح المستطيلة أو المربعة، ونجد خلف الأوركسترا ما يسمى Skéné، ومعناها المنظر أو المشهد أو ما نسميه اليوم الديكور، وفي 450 ق م كانت السكيناى مقامة من بناء خشبي ثم أقيم مكان البناء الخشبي المؤقت بناء

حجري ثابت يمثل واجهة بيت أو قصر أو معبد، وكانت لسكيناى ثلاثة أبواب، التي تستخدم لدخول الممثلين وخروجهم بالإضافة إلى البارادوس Parados الأيمن والأيسر ونجد بين السكيني ودائرة الأوركسترا ما يسمى بالبروسكينيوم، وكان لا يتجاوز ارتفاعه مستوى دائرة الأوركسترا بأكثر من عتبة واحدة.

ويمكننا أن نقول أن التياترون الاغريقي المدرج يقابل عندنا القاعة، وهنا تجدر الإشارة إلى أن مفهوم البناية المسرحية قد تطوّر بتطوّر أفكار ورؤى المجتمعات وتطور تقنياتها فبعدما كان النمط السائد هو المسرح البورجوازي Boulevard وهي تلك البناية التي تفصل أساسا بين الجمهور والممثلين، مع تقسيم الجمهور حسب الطبقات الاجتماعية، وهنا نشير إلى أن المسرح البورجوازي يضيف على نفسه مسرحية باستعمال تقنيات غير مرئية ويصبح العرض كأنه واقع حتمي.

أما النوع الثاني وهو مسرح المصطبات tréteaux فهو النوع السائد في عصرنا الحاضر وذلك حسب الاستعمال وهذا النوع عكس المسرح البورجوازي Boulevard، إذ لا يفصل بين المتفرج والممثل، كذلك لا يقسم المتفرجين إلى طبقات، وتقنياته واضحة أمام الجمهور. ويمكننا أن نقرّ بتواجد هذين النمطين في نفس الوقت وذلك حسب الاستعمال.

بصفة عامة تلك هي مكونات البناية المسرحية ومفهومها حسب هندسة المسرح الاغريقي والاليزابيثي، وهذين النوعين تميزا بهندسة المسرحية العمودية فنجد في الأمام اللسان = الركح، ونجد كذلك بابا فيه يشار لدخول الممثلين وهي حجرة ملابس أو للصعود إلى الأعلى، ثم نجد في أعلى المسرح حجرة سحرية غايتها إنزال الملائكة والشياطين والآلهة... وفوق هذه الحجرة نجد علامة تدلنا على منظر حبّ أو خيانة (مثال روميو يتغزل بجوليأت) وكل هذه العلامات توطر المتفرج الذي تصبح له فكرة أولية على العرض، وطريقة تقديمه، وعن تقنياته، وحتى فن التمثيل.

ضرورة البناية المسرحية :

البناية المسرحية هي وليدة عدّة عوامل :

العامل السياسي : لم تظهر البناية في الاغريق اعتبارا بل ظهرت نتيجة وجود توجه سياسي عام، وهو الشكل الديمقراطي والبناية المسرحية تتطلب تمويلات ضخمة وهاته التمويلات قام بها ارسنقراطي اليونان وذلك غايته ترسيخ القيم الجديدة وتصبح البناية من هذا المفهوم إطارا إعلاميا وإشهاريا.

العامل الاجتماعي : ظهرت البناية المسرحية بمستويات عدّة، بداية من الكراكيس الأعلى إلى الكركيس الأدنى إلى البروسكينيون والسكيني. ويبلغ التوظيف المستوياتي أقصاه في البناية اللاتينية باعتبار أن هناك أناس يأتون ليس لمشاهدة العرض بل ليشاهدتهم الغير وتصبح البناية المسرحية انطلاقة من هاته المستويات غايتها المحافظة على التقسيم الاجتماعي.

العامل المدني والحضاري : في الأول كانت غاية وجود البناية المسرحية هي غاية طقوسية المتمثلة في الاحتفال بطقس ديونيزوس إله الخمر ولذلك تقام العروض تخليدا لذكراه أما الآن أصبحت البناية المسرحية لها بعدا مدنيا يتمثل في إعطاء وجه حضاري للمدينة أو للبلاد ولذلك نجد الحكومات تخصص له اعتمادات مادية لتشييد معالم حضارية.

البناية المسرحية في تونس :

- 6,5 مقاعد للألف ساكن :

توفر تونس 42,500 مقعدا في القطاع المسرحي بما فيها المسارح الأثرية ومسارح الهواء الطلق أي ما يعادل 6,5 مقاعد للألف ساكن وتتنوع المقاعد كالاتي : 39,66 % منها توجد بالعاصمة، و 66,34 % بداخل الجمهورية.

- مسرح واحد لكل 312 642 مواطن :

توفر تونس 21 مسرحا أي ما يعادل مسرحا واحدا لكل 312 642 مواطن لكنها تتوزع بصفة غير متكاملة إذ نجد أن الولايات الساحلية تملك 76,19 % من مجموع المسارح و 84,34 % من المسارح المغطاة.

الولاية		الامتاع	عدد المقاعد	الملاحظات
تونس	14	14	يتراوح بين 40 و 350 إضافة إلى المقاعد المتحركة	قاعة واحدة مجهزة، 3 قاعات بدون ركح والبقية غير مجهزة.
زغوان	3	3	220 متر مربع	قاعتان مجهزتان، و 1 غير مجهزة
قبلي	3	3	220 متر مربع	هناك قاعة مجهزة وأخرى غير مجهزة وثلاثة لا ركح بها.
بن عروس	7	7	220 - 500 متر مربع	كلها غير مجهزة وواحدة لا ركح بها.
بنزرت	9	9	1500-150 متر مربع	قاعة قصر المؤتمرات تجهيز كامل، وتجهيز متواضع لبقية القاعات وهناك الغير مجهزة.

الولاية			الامتاع	عدد المقاعد	الملاحظات
قابس	6	6	500-100 متر مربع	450-425 ثابتة 250-30 متحركة	قاعة واحدة مجهزة والبقية غير مجهزة.
سوسة	14	27	800-20	1207-225 ثابتة 520-20 متحركة	14 قاعة لا ركح ولا تجهيز بها والبقية بها تجهيزات متواضعة.
مدنين	4	4	500-350 متر مربع	350-219 ثابتة 180 متحركة	قاعتين غير مجهزتان و 1 مجهزة وأخرى بلا ركح.
القبيروان	8	10	813-111 متر مربع	813-111 ثابتة 102 متحركة	أغلبها غير مجهزة، هناك واحدة مجهزة تجهيزا كاملا وأخرى ذات تجهيز متواضع.
نطاوين	2	2	250-119 متر مربع	250 ثابتة 265 متحركة	تجهيز متواضع.
أريانة	6	6	500-250 متر مربع	250-70 متحركة	تجهيز متواضع.
قفصة	8	8	850-300 متر مربع	850-140 ثابتة 170-50 متحركة	أغلبها غير مجهزة.

الولاية			الامتاع	عدد المقاعد	الملاحظات
جندوبة	7	12	1000-150 متر مربع	467-160 متحركة	أغلبها غير مجهزة، وهناك واحدة لا ركب لها.
المنستير	11	14	700-17,4 متر مربع	706-210 ثابتة 200-150 متحركة	أغلبها تجهيز متواضع.
الكاف	6	6	805-215 متر مربع	600-215 ثابتة	تجهيز متواضع.
توزر	3	4	300-250 متر مربع	300-150 ثابتة 250 متحركة	غير مجهزة.
سيدي بوزيد	7	6	800-230 متر مربع	367-200 ثابتة 200-100 متحركة	غير مجهزة.
القصرين	6	6	360-170 متر مربع	360-29 ثابتة 60-20 متحركة	غير مجهزة، وقاعتان بلا ركب.
سليانة	7	7	500-160 متر مربع	456-190 ثابتة 317-100 متحركة	أغلبها مجهزة تجهيز متواضع.

الولاية			الامتداد	عدد المقاعد	الملاحظات
باجة	8	8	100-500 متر مربع	150 ثابتة 500-100 متحركة	كلها غير مجهزة.
صفافس	11	13	205-1000 متر مربع	205-1000 ثابتة 20-400 متحركة	قاعتان مجهزتان والبقية غير مجهزة.
نابل	9	12	200-350 متر مربع	170-300 ثابتة 350 متحركة	كلها غير مجهزة.

ملاحظات عامة : <http://Archivebeta.Sakhrir.com>

توفر تونس 167 قاعة للعرض، وهي تتمثل في دور الثقافة، دور الشعب، قصور المؤتمرات وبعض القاعات الخاصة. ونلاحظ أن أغلب هذه القاعات إما مجهزة تجهيزا متواضعا أو غير مجهزة. وبالتالي فهي لا تستجيب لمكونات البناية المسرحية، حسب التعريف الذي ذكر في المقدمة. لكنها تستعمل للعروض المسرحية بصفة مؤقتة.

ونلاحظ أن أغلب هذه القاعات مكرزة داخل المدن الساحلية (سوسة 27 قاعة) وتجدر الإشارة إلى أن هذه البنايات لم تبنى خصيصا للمسرح بل هي مؤسسات ثقافية تبرمج العروض المسرحية في جملة نشاطها الثقافي، لذلك لا يمكن اعتبارها بنايات مسرحية طبقا لتعريف باتريس بافيس ومتطلبات العرض المسرحي.

ـ البنايات المسرحية المخصصة للمسرح في تونس :

هناك نوعان من البنايات المسرحية. مسارح مغطاة وأخرى مفتوحة.

أما المغطاة : المسرح البلدي لمدينة تونس، المسرح البلدي بصفاقس.
المفتوحة : مسرح قرطاج الأثري، مسرح دقة الأثري، المسرح الدولي
بالحمّات.

وهناك العديد من مسارح الهواء الطلق الموزعة في كامل أنحاء
الجمهورية.

دراسة نموذجية لمسرح مدينة تونس :

يرجع تاريخ بناء مسرح البلدي لمدينة تونس إلى سنة 1901 وأول
عرض قَدّم فيه 1909 ويشتمل على 1200 مقعد. وفي سنة 1912 أعيد
ترميمه وذلك بتوسيع بنايته.

إن معدل المسرحيات التي تُعرض في هذا المسرح تتراوح بين 15 و
20 مسرحية في الشهر.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

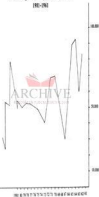
نشاط مسرح مدينة تونس من 1961-1981

عدد المتفرجين	عدد العروض	السنة
82,137	166	1961-1962
59,707	112	1962-1963
92,580	199	1963-1964
85,368	155	1964-1965

عدد المتفرجين	عدد العروض	المنة
28,697	112	1966-1965
51,885	153	1967-1966
70,624	155	1968-1967
67,300	147	1969-1968
38,540	164	1970-1969
47,216	136	1971-1970
52,884	132	1972-1971
53,984	162	1973-1972
51,650	170	1974-1973
60,079	178	1975-1974
54,244	166	1976-1975
80,548	143	1977-1976
56,989	103	1978-1977
58,976	131	1979-1978
34,334	98	1980-1979
40,237	121	1981-1980
1,165,979	2893	المجموع

دراسة تحليلية لظهور مرض حمى التيفوئيد

1960-1961



استنتاجات :

إن الدّارس لهذا الرسم البياني للتطوّر العددي لجمهور مسرح مدينة تونس في العشرينيّة الفاصلة بين سنة 1961 و 1981 يلاحظ أن نشاط هذه البناية المسرحية مرتبط بوضعية المسرح في البلاد التونسية.

فمن سنة 1962-1967 سجّل تطورا ملحوظا في إقبال الجمهور على المسرح وكذلك في عدد العروض، إذ بلغت العروض المقدّمة سنة 1963-1964 199 عرضا، وبلغ عدد الجمهور 92.580، ثم يتضاءل عدد العروض والمتفرّجين سنة 1970 و 1971-1972. وهي بمثابة فترة ركود بالنسبة للمسرح في تونس.

ثم يعود المسرح إلى ازدهاره في آخر السبعينات وبداية الثمانينات فبلغ عدد العروض المقدّمة سنة 1976-1977 156 عرضا وبلغ عدد الجمهور 80 ألف 548 متفرّجا ويعود المسرح في آخر الثمانينات إلى الانتكاس من جديد، إذ سجّل تدهورا ملحوظا في عدد العروض الذي بلغ 98 عرضا سنة 1979-1980 أما عدد المتفرّجين فقد انخفض إلى 34 ألف و 334 متفرّج.

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

مكوّنات المسرح البلدي لمدينة تونس :

من ألزم الأمور أن نلّم ببناء مسرح مدينة تونس، أو ببناء «التّيّاترو» على الطريقة الإيطالية بالتحديد، فإن هذا يعيننا على تفهّم الطريقة التي تقدّم بها المسرحيات، وربّما قرب هذا إلى فهمنا «فنية المسرح على الطريقة الإيطالية أو مقوماته التكنيكية».

أول ما يتبادر إلى ذهننا عند مشاهدتنا الواجهة الخارجية لمسرح مدينة تونس نجد لوحة تمثّل manteau d'Arlequin وهي على شكل مستطيل فهي توحى لنا بشكل الرّكح الذي هو على الطريقة الإيطالية وهذه اللّوحة تعود بنا إلى تاريخ فنّ الرّسم التصويري الذي يمثل في حدّ ذاته توجّها أو مدرسة فنيّة وهي تهتم بتصوير الانسان في محيطه.

وبتجاوزنا الباب الخارجي نجد كواليس المسرح الأمامية وهي بمثابة ممشى فسيح أو قاعة انتظار وهو كذلك مكان يقود المشاهد إلى مختلف أجزاء قاعة العرض التي هي مقسمة بدورها إلى عدة فروع ابتداء من الأوركسترا، اللوجات، بالكون وهي الأماكن المخصصة للمتفرجين وتعدّ 1200 مقعد.

فقاعة المسرح مقسمة إلى ركح (فضاء اللعب) ومكان المتفرجين.

الركح :

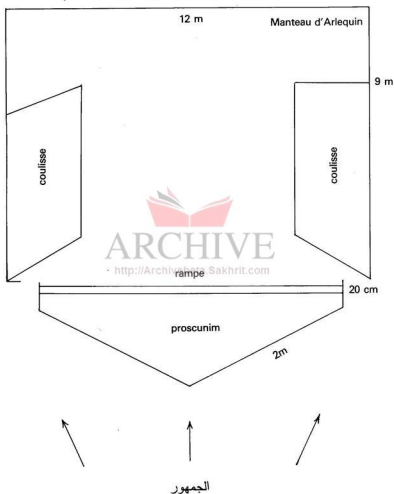
فتحة الركح على الطريقة الإيطالية مستطيلة منقسمة إلى جزئين البروسكيون والركح وتفصلهما rampe ترتفع حوالي 20 صم. ثم نجد الاطار وهو ما يسمى manteau d'Afrique، وفتحة الركح تساوي 12 م أما عمقها فهو 9 م وعلوها 17 م وهو مقسم إلى 5 أجزاء متساوية ومتحركة، يتنقما البندريون Pandrion ونجد في مؤخرة الركح السكلورما Sclorama وهذا الأخير جعل كمرجع للفضاء الطبيعي وذلك حسب العرض.

تحت الركح هناك ما يسمى entre sol جعل لوضع الأدباش والمعدات الركحية وكذلك هناك الداموس Sous Sol وهو موضع الديكور المسرحي. كما أننا نجد على الجانبين الكواليس جعلت لدخول وخروج الممثلين وتغير الأدباش وفي الأعلى نجد مكان مخصص لما يسمى machinerie وهي آلات يدوية تستعمل لانزال أو رفع السناثر وكذلك تستعمل أثناء العروض لرفع أو إنزال الديكور أو الممثلين.

الاقتراحات :

إن البنايات المسرحية في تونس عددها ضئيل جدا وإنني وجدت قاعات للعروض فإنها وقتية وليست مخصصة للمسرح، ومن هذا المنطلق فإن تطور المسرح في تونس رهين نهضة على جميع المستويات، الرؤية الثقافية الواضحة، والطاقات البشرية المكوّنة تكويننا صحيحا والمؤسسات المهنية القادرة على الإبقاء بحاجيات ومتطلبات المسرح وبالتالي وجود بنايات

فتحة المسرح البلدي (الركح على الطريقة الايطالية)



مسرحية مجهزة تجهيزا كاملا ومصممة عمرانيا وتقنيا حسب ضرورات العرض المسرحي.

وبما أن في الوقت الحاضر القاعات الغالبة في البلاد التونسية هي قاعات غير مخصصة للمسرح لذلك وجب إيجاد حلول عاجلة كأن نجهز هذه القاعات بمتطلبات العرض المسرحي وخاصة الاضاءة التي أصبحت ضرورية في الانتاج المسرحي ولذلك فنحن نقترح جذاذة فنية Fiche Technique لقاعة من قاعات دور الثقافة بتونس وهي قاعة دار الثقافة بنابل والتي يمكن أن ننسج على منوالها لبقية القاعات حتى تتمكن من تسهيل مهام الفرق وتقديم خدمة عاجلة لها.



إنا نحبّ الورد لكننا نحبّ القمح أكثر

ب. نيرودا

امتطى دراجته النارية وخرج من القرية متجها جنوبا، يخطّ طريقه عبر المسالك الريفية يلفّه ضجيج أصمّ يصدره محرك دار «الموبيلات» الذي بدأت قطعه تتآكل وتصطك الآن بانتظام الحفر والتتواءات المتلاحقة راسمة شريط «ميشلان». إنه أثر جرار عملاق مرّ من هنا بعد غسالة النواذر ولما طلعت شمس الرمان وألهبت التينة بحرارتها كان شريط «ميشلان» هذا الذي يركض عليه بدراجته المهلهلة.

وانقطعت إيقاعات طبق المحرك وفرقعات سلسلته بانتظام الحفر والتتواءات لتثبت ميزان هدير المحرك الذي لم يكسر سكون الصباح ولم يبدد ضبابه بل انسجم تماما مع هدير الخريف الأصم وتناسق مع هديره - هو الداخلي ليؤلفوا جميعا سمفونية متكاملة تحكي حكاية المسالك الوعرة.

وفاض مع جوارحه نواح ناي تنزف آهاته من جروح دقيقة وتحملها نسمة الصباح لتتمسّح على الأرض عليها تعانق زهرة فلا تجد إلا الأشواك تخذشها، تمرّقها، تحوّلها إلى صغير جاف حاد كفحيح الأفاعي.

ويرتد إليه نواحه ينقاطر سماء مدبوغا بالوحشة ملتحفًا بالظلام.

ولفّ شمالا مع إحدى الثنايا فقابلته الشمس مظلة من وراء الهضاب الواطئة ملتحفة بحرير الضباب وسرحت عيناه مع الأرض الممتدة أمامه بالعرض ناشرة جسدها للشمس فرأى بسمّة القبلة الصباحية وعبّ من نسمتها فاستيقظت حواسه.

لقد استيقظ تعباً مدمراً الحواس. بات يبحث عن زهرة، عن وردة، عن شيء جميل وبسيط، عن شيء يحبه الأطفال. بات يبحث عن زهرة تزهو آماله. بات يبحث هائماً في ليل غربته وبيده مصباحه النفطي مفتشاً كل الزوايا وكل الخبايا عارضاً صدره الرحب لزهرة صغيرة، لوردة حزينة يحضنها.

وتأمل الأرض المنبسطة، المخططة، الهاربة أمام ناظره. ركز النظر فيها، في شقوقها وبدأ الأفق يتقلص ويرتد إليه حتى صارت كما الكف أمامه بل هي كف جذته. هذه الأصابع الغليظة الطويلة ممتدة متلاصقة أمامه وهذه راحة الكف محفورة بخطوط الحظ والحياة والحب والانجاب والصحة. وتأمل كف الجدة ملياً فتراءت له عذابات الماضي ومأساه واستمع إلى أنفاس الحاضر المتوجسة المرتبكة واشتم بعض رحيق الزهرة القادمة.

هذه الثنية تصعد الآن والدراجة التي كانت تركض استمال هديرها إلى أزيز أبخ متواصل يعبر عن مجهود جدي تبذله لتسلق العقبة. والتحمت أجزاء المحرك وتناصقت بعد أن كانت مصطكة ببعضها بعضاً.

وها هو الآن يدخل المسلك الذي يحزم ربوة سيدي محمد الغريب المترعب على القمة بزأوته المعبية وعلى اليسار في الأسفل يمتد سهل خصيب تربعت وسطه ضيعة السيد «فرانسوا» الملفوفة في باقة من شجر الكالاتوس وقد كفت عن نفث الدخان من زمان فلاحت كقصور الغيلان والأرواح الشريرة.

وشد على المقود بقوة وتقوس ظهره إلى الأمام وكأنه يدفع الدراجة ويعينها على صعود أرض البياضة موطن اليربوع محاولاً تلافي الحجارة المفتتة والأشواك التي قذفت بها الريح إلى وسط الطريق من شجيرات ونباتات بائسة منتشرة على وجه الربوة العابس لا تثمر إلا هذه الأشواك لتساهم بها في تخريب عجلاته.

ثم ضاقت أنفاس المحرك واختنق فنزل عن الدراجة وراح يدفعها إلى جانبه متسلقاً الربوة بصعوبة وعناء. وتناهى إلى سمعه لغط منبعث من أعلى

الربوة الجرداء، لغطأت من زاوية سيدي محمد الغريب يتخلله نباح كلب
هزيل فعلم دون أن يرفع رأسه ليستجلي الأمر أنها الاستعدادات للزردة...
وخرجت من ضيعة السيد «فرانسوا» - وحدة «الاجتهاد» - جد مجتهدة.

وعلا الآن القرص الشمسي فتبين وجه الأرض على حقيقته الخريفية
وانزاحت عنها مسحة الحزن الصباحية وصارت وحشة طبيعة الفصل تعبر
عن غمة الموت الذي يحضن في طياته بذور الحياة الجديدة.

صار يلهث. أتعبته الدراجة وقطع نفسه المسلك الوعر. وبدأت حبيبات
عرق ترشح على ظهره تحت القميص. وبلغ رأس العقبة فأوقف الدراجة
ووقف يرد النفس فلاحته له المدرسة هناك في الأسفل وراء الربوة وسط
الحقول الغبراء بقاعاتها المتلاصقة وكأنها قطع سكر على طاولة خشبية.

امتطى دراجته وانطلق في المنحدر ودارت العجلات بسرعة تجاوزت
قوة المحرك فأحس أنه يطير من فرط السرعة وأن ذلك ليس من فعل
المنحدر بل أشعت صورة الأطفال كالقطب المغنطيسي وجذبت إليه بقوة
خارقة... ولكن قلبه سرعان ما انقبض لما تذكر مرة أخرى موضوع درس
التصوير الذي لم يحسمه بعد.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لقد سئم كل الرسوم والتصاویر التي رآها عند الأطفال أو معلقة على
جدران الأقسام بأغلب المدارس التي يعرف كره الرمانة التي ترسم بحجم
حقة حلوى الشامية وتلون بالأحمر مع تاج ملكي صغير. سئم الفئران
الميكانيكية التي تطلع مذعورة من زوايا ورقة التصوير بشكل مثلثات صغيرة
تجر وراءها ذيولا شبيهة بصغار الثعابين أو تقف بسذاجة أمام القط الواجم
المتكور إذ تعبر عنه دائرتان تعلو أعلاهما أذنان حادثان...

لقد تملكه شعور غريب عندما طلب من الأطفال في الأسبوع الفارط
أن يرسموا ما يحلو لهم بعد أن كتب على السبورة: «الموضوع: رسم حر».

وهو يتحول بين الصفوف دهمه إحساس قوي وغامض إقتلعه من القسم
وألقى به في أرض عذراء لم تدنسها أقدام موقعة الخطوات ولا خوافر خيل

مسرجة ولا عجلات سيارات مسيجة النواذف. توقفت الساعة وسقط في زمن طفولي لا يعرف التاريخ الميلادي ولا الهجري.

غطس الأطفال في الصفحات البيضاء وراحوا ينشؤون رسما واحدا ليس يدري عن أي فنان موهوب ورثوه. هذا يونس يركز بيئا وسط الورقة ويصفق فوقه قرميدا أحمر. وهذه هادية تلون الأبواب والنوافذ بالأزرق. ويمر بين الصفوف شارد الذهن ويواصل الأطفال الرسم وتتكامل الصورة مرحلة مرحلة. هذه عتبة البيت تنزل في دراجات طويلة متلاحقة تصل بك إلى حافة الجدول فيخوب كريم وهو يمرر القلم الأزرق من اليمين إلى الشمال ومن الشمال إلى اليمين على امتداد الساحة البيضاء فيمتلئ الجدول ماء صافيا تثبت حوله زهرات منظمة تنظيما هندسيا وهي تنضح بألوان قوس قزح. ويرفل وراء الزهرات طاووس مزهو. ويقف طفل بين المنزل والجدول - الكوثر وإلى جانبه طفلة مثلثة الشكل كالآلهة طانيت تنثر الحب لزوج حمام.

ليس يدري لماذا كان يشعر بالانقباض وهو يطوف بين الأطفال الساهمين وهم يؤسسون حلمهم بألوان زاهية. انفتح بين الضلعين جرح لم يندمل لما شاهد يونس قد أمال رأسه وأخرج لسانه وهام بخلق جنته معننيا بأدق أجزائها فطلعت على القسم في بهاء وصفاء كأحلام المحرومين.

وفجأة مرقت من شماله كميونة سي عبد الجليل وتجاوزته وسط علبوب من الغبار وعياط سي عبد الجليل وهو ينفض يديه راسما في الفضاء علامات الاستنكار. وعادت كميونة سي عبد الجليل إلى وسط التنية بعد أن كادت تخرج إلى الحقل المجاور.

ملعون أنت، أنت ملعون لماذا تأخذني هكذا دوما على غفلة مني عبر متاهات لا أجنني منها إلا المتاعب والأشواك؟ وهل تظن أن سي عبد الجليل سيصدقني عندما أقول له بكل بساطة «والله لقد سرح بالي ولم أشعر بك إلا عندما رأيت الكميونة بجاني». عندها سيدعني سي عبد الجليل المدير لقمة سائغة. سيدعها من الجنة والناس هذه المرة وسيكون صاحب الموقف

سيمطط الحكاية إلا ما لا نهاية، ويعطيها أبعاداً لا حدود لها. نعم هذه فرصته
لقد كنت دوماً أهزمه في النقاشات البيداغوجية. هذا ما يشعر به سي عبد
الجليل أما أنا فكانت دائماً لا أقصد الاساءة إليه وإلى سمعته المصطنعة إذ
لا يعني ذلك في شيء.

لماذا أنت هائم هكذا تشرح مع أبسط الأشياء وتبحث لكل ظاهرة عن
العلّة وبنت العلّة والطبيب الصقلي بماذا مات؟ ألا تنتبه إلى مخاطر هذه
الطريق الوعرة؟ أنا لا أريد أن تتطور المشاكل أكثر مما تفاقت مع إنسان
أعند من حجرة سيزيف تبين له بالباء والتاء وبالحجّة والمنطق مستعملاً معه
أسلوب التدرج والترابط العلمي واحد مع واحد يساوي اثنين ولما تصل به
إلى بيت القصيد بعد أن تكون قد استوفيت كل البراهين وكل وسائل الاقتناع
وقد استعرضت كل المبادئ البيداغوجية وأصول علوم التربية وعلم نفس
الأطفال... تظن أنك ربحت الجولة وكسبته في صفك كيف لا وأنت لم تمرّ
من حلقة إلى حلقة من سلسلة تحليلك البيداغوجي وحججك العلمية إلا
بموافقتك، عندها، أي عندما تصل به إلى بيت القصيد يعود بك إلى نفس
الملزومة المألوفة ويطنل آذانك بنفس الكلمات المعهودة ويعيد على مسامع
كل الزملاء حكاية هذه المدرسة وكيف دخلها بقاعة واحدة وأشرف على
بنائها وكيف حشر فيها كل أطفال المداشر المجاورة وقد أتوا من كل فجّ
بأعمار متفاوتة وأنوف سائلة وأقدام حافية وكيف أثمرت جهوده بعد أن مرت
عليه أجيال بأن أنتج ممرضة ومعلمين اثنين ومستكثبا بإدارة الفلاحة وحتى
حارس المدرسة من الذي علّمه وربّاه وكوّنه؟ وعندها ينادي الطاهر المسح
ليكون شاهداً على أقواله التي ترسم مراحل نضاله الطويل... هذه المرة
سيقول إنني تعمّدت مضايقته في الثنّة وأن هذه العملية شكل من أشكال
التحدي لشخصه المتعدد المسؤوليات.

كيف يمكن أن أتخلص من هذا الاتهام الركيك؟ بل كيف يمكن أن أتحمّل
بلادته التي ستتمطط وستتمطط لتملأ كلّ الحصّة الصباحية وينتهز معلّم
الفرنسية «سي علي بالسّوري» الفرصة ليلوك معه الحديث ويجعله يقلب
الموضوع من كل جوانبه ويدرس أبعاده ومراميه، وحديثهما ذو شجون

خاصة إذا أتخفهم الطاهر المسح بكأس شاي صباحي وهو لا يبخل عليهما به في مثل هذه المناسبات.

إنها فرصة سي علي بالسوري ليتخلص من برودة قسمة الذي خلف له بعض الروماتيزم في المفاصل الذهنية، سيقضي الحصّة الصباحية في رواق المدرسة يتمطى كالقط مستمتعا بكل لحظة من لحظات البطالة متلذذا بكسله مع تلمظ كل رشفة شاي.

أوقف الدراجة في ظل الزيتون العتيقة الفاصلة بين الأقسام ومكتب المدير، وتوجه نحو سي عبد الجليل وسي علي بالسوري الواقفين أمام المكتب. حيّاهما بأدب. فردّ عليه سي علي بالسوري التحية وقد خنق ابتسامة خبيثة صفراء في زاوية شفتيه الرقيقين وأشاح عنه سي عبد الجليل بنظره والتفت يحدّق إلى ديك في ركن الساحة راح ينبش الزباله بنشاط مثيرا غبارا قذرا وروائح كريهة... هكذا يفعل سي عبد الجليل دائما... يعرض عن الكلام في البداية ويرفض الحوار ثم يدحض الأرض بأقدامه وينطلق كما ثور المصارعة داخل الحلبة.

عند ذاك وصل الطاهر المسح وبيده طبق قد قوّر وسطه براد شاي كالشيخ القابع ملفوفا في برنسه ومعه كأسا شاي نظيفين وبرّجّين من الخبز المبيّس قد افترشا ورقة ملونة.

وضع الطاهر المسح الطبق في نافذة مكتب المدير فشّد الطبق عينيه - هو - وراح ينظر ويتفحص إنّه يعرف هذا الرسم. دقّ النظر في الورقة الملونة فإذا هي جنة يونس الصغير.

الجدول ممتد أمام الضيعة والأزهار وزوج الحمام قد رفسهما الخبز المبيّس وسرحت بقع الزيت مع الورقة العطشى ولوثت مدخل المنزل وبقي الطاووس مزهوا بريشه...

خاطبه الطاهر المسح فلم ينتبه له.

وانتنض كالملووغ وتوجه إلى قسمة بخطوات غاضبة سريعة ثابتة.

دخل عليه يونس الصغير وحيّاه تحية الصباح ثم تردد لحظة وتقدم خطوة وقال : «سَيِّدِي لَقَدْ سَأَلْتُنَا عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَحْبُ وَنَحْبُ أَنْ نَرْسُمَ فِي حَصَّةِ التَّصْوِيرِ... وَأَنَا تَرَدَّدْتُ كَثِيرًا وَلَمْ أَقُلْ لَكَ وَلَكِنِّي جَلَبْتُهَا الْيَوْمَ».

فرفع رأسه وسأله بلهفة : «ما هي؟ أين هي؟؟»

- إنها في شباك القسم يا سيدي.

وعاد يونس الصغير رافعا كما الراية سجّادا مظفورا يتناسق وتناظر من سنابل القمح الشمسية وقد أرخت رموشها السوداء في جلال وبهاء.

- هل أعجبتك يا سيدي؟

...

إنني أحبّها...

إنها جميلة...

في الليل أنظر إليها طويلا طويلا على ضوء المصباح الذي ينيرها.
إنها أبهى من القمر.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>





ترانيم الياسمين

شعر : السعيد المنصوري
سليانة

يغمرني الأسي
عند المساء
يمرّ هودج التي كانت
ربيعا في كياني
إلى غابة الأحزان
ويمضي الموكب
دون عناء
يستودّ لون الياسمين
والرّنبقة البيضاء ...

★ ★ ★

عند المساء
يأتي الليل
برياحه وسهامه ورماحه
تنفق الغربان غضبا
ترقص الأشواك فرحا
وأقضي حلمي المزعج
مع طيف الضياع
وترانيم الجفاء

الاهداء : إليها ..
في نكري اختطافها
أشعل قناديلي



دولة عشق

شعر : صافيناز قرعة
صفاقس

انتفض الجرح

من مكانه

راح يؤسس دولة عشق

يرسم بندقية وحمامة

ويكره ما يسميه العميل خيانة

تربع عرش العفاف

وروى بالدم

غصن زيتون

تدلى

يرشف قطرات

ندى

ويغني ...

خذ مكانك يا جرح !

في أعالي الجبال

قف شامخا

انتصب قائما

وارفع راية وطنك

مخاض شاعر...

فقصيدة

يُؤَلَّفُ لِلتَّكُونِ لَحْنُ الرَّبِيعِ
وَمَعْنَى الرَّبِيعِ
وَيُرْسَمُ لِلتَّكُونِ لَوْحًا بَدِيعٌ...
وَيَوْمَ الرَّجِيلِ
يَصْطَادُهُ الْعَائِقُونَ

وَيَهْدُونَهُ الشُّرَفَاتِ

وَكُلَّ النَّوَافِذِ

لِيَنْقَى الرَّبِيعُ

يَعِيدُ لَهُمْ بَذَرِيَّاتِ مَضَتْ

وَأَيَّامِ تَأْتِي بِكُلِّ بَدِيعٍ...

وَيَأْتِي الرَّبِيعُ

وَيَخْرُجُ الطَّيْرُ مِنْ حَبِيمِهِ

وَيُوْنِعُ زَهْرَ الْمَشَاعِرِ

وَيَنْسَابُ شِعْرِي الْمَعْتَقُ بِالصَّمْتِ بَحْرًا

فَيُخْفِدُ نَارَ الْمَسَاعِرِ

يَفُكُّ كَيْيَانِي الْعَقَالِ

يُنْمِمْ رَعْدًا عَلَى كُلِّ مَنِيرِ

يُهْتَمُّ كُلُّ جِدَارِ

وَيَرْفَعُ عَنِ مَقْلَتِي السَّائِرِ

تَسْوَرُ سُورِي

وَفَكَ الْجِصَارُ... وَسَارَ

عَلَى كُلِّ فَجٍّ

تَلَطَّطَ مَشَاعِرِي بَيْنَ ضُلُوعِي

وَعَصَّ كَيْيَانِي بِهَا فَاعْتَقِلْ.

بِرَأْسِي اسْتَبَدَّتْ

وَقَلْبِي بِهَا قَدْ حِيلَ

أَجْبُهُ،

عَذَارَى...

عَيُونِي حَيَارَى / وَنَبَسُ شِفَاهِي

وَطَرْفُ لِمَانِي

يَلَامِسُ نَارًا

أَعَاصِيرُ حُبِّ

تُحَاوِلُ خَرْقَ جِدَارِ

وَلَيْلُ الصَّبَابَةِ يَسْعُرُ نَارَ جَهَنَّمَ

وَيَجْلِدُ مَاءَ الْبَحَارِ

عَوَاصِفُ نُورَةٍ أَكْثَوْبَرُ ثَرْنِيْنِي

تُرِيدُ تَسْوَرُ سُورِي

وَفَكَ كُلَّ جِصَارِ

أَرَانِي كَطَيْرٍ حَبِيسِ

رَأَى نَفْسَهُ فِي الْمَزَارِعِ

رَأَى نَفْسَهُ فِي الشُّوَارِعِ

رَأَى نَفْسَهُ فِي الْقَضَاءِ يَطِيرُ...

يُحَطُّ الرِّحَالُ،

يَسْبِيْرُ...

وَيَعْمَلُ فِي الْبَحْرِ هَيْجًا
يُحْطَمُ أَعْنَى الْبَوَاجِرِ
ضُرُوسٌ يُعَانِقُ سَحْبَ السَّمَاءِ
وَيَحْتَلُّ كُلَّ فَضَاءٍ
فَيَبْعَثُ فِي قَصِيدًا جَدِيدًا
يُغَاوِلُ سِيحَرَ الْمَسَاءِ
وَقَبْلَ وَلَادَةِ كُلِّ قَصِيدٍ
يُورِقُنِي حَمْلُهُ وَمَخَاضُهُ.

عبد الحميد البراري

وَفَوْقَ الْقَنَاظِرِ...
يُثِيرُ بَرَازِينَ كُلَّ الْخَنَاجِرِ
وَيَعْمِدُ فِي الصَّيْفِ كُلَّ الْخَنَاجِرِ...
وَيَعْرِجُ صَوْتِي نَحْوَ السَّمَاءِ
لِيُنْزِلَ مَاءً
فَيَسْقِي الْمَزَارِعَ
وَيَعْمَلُ فِي النَّهْرِ طُغْيَانَهُ
وَطُوفَانَهُ
فَيَغْرِقُ كُلَّ ضُفَاءٍ



عندما تنتصر الحجارة

عبد المجيد الدريدي
كلية الآداب والعلوم الانسانية القيروان

يا طفل فلسطين
يا ملحمة القرن العشرين
يا من خلدت اسمك
في هذا «العصر الحجري»... بالحجارة
يا من رفعت عن وطني الرجم...

والغبوة والقذارة
حجارتك كانت أعظم من
خطاب ملكي

في «مجمع النفاق»
كانت سهما في قلوب الحيارى
كانت «طلقة الاستغاثة»

لعربي السكاري
سلاحك الحجارة

وسلاحنا النفاق والعريضة...
والخمرة والسيجارة

http://Archivebeta.Sakhril.com

فلا تلمنا...

لقد أرسلنا رسالة تنديد إلى «السفارة»
عائبنا... أدنا واستكرنا...

بكل حرارة

ولكن رغم مساعينا...

انتصرت الحجارة

فسجل أيها التاريخ لأنك لا ترحم

فضيحة القرن العشرين

سجل أيها التاريخ لأنك لا ترحم

قذارة الشيوخ في وطني الطعين

سجل أيها التاريخ لأنك لا ترحم

بسالة الأطفال في الزمن اللعين

إرهاصات مذكرات تحترق

بديع الزمان القرمازي

تراكمت السحب السوداء في كافة امتدادات السماء لتنذر بهبوب عاصفة شديد ستهز أركان قريتي العتيقة هذا اليوم. الأفاق هي الأخرى منكشمة تنتظر الشروق لتمتد فيه وردة بيضاء ومولود أمل يطعم الوجدان والكيان بالحقيقة لأنه هو القنديل الأخضر الذي يزيح الظلام في ثنايا الدروب.

هذه أخبار السماء وما حولها، أما الأرض فتطوي أشياء أخرى ربما تكون غامضة فالجو فيها غائم لكنه في نفس الوقت يفتق بعض الذكريات هو جو رومني شاعري ينشر ابداعات قد تتجلى اليوم أو غدا.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

في هذا اليوم وبين الأغواط الجميلة والربى الممتدة هنا وهناك وفوق التلال العالية جلس رجل غريب المظهر يتأمل البحر. لكن من هذا الرجل الغريب.

- الرجل : صباح الخير.
 الغريب : اسمي جلال أرسلني ملك التغيير والتحول : الزمان.
 الرجل : مرحبا بك رسولا، ما حاجتك وما هي مطامح امبراطورك ؟
 الغريب : انه بعثني لأعلمك بخبر هائل ألم بمدينتك هذا الصباح.
 الرجل : (في ذهول) أي حدث ؟!
 الغريب : ألم تعلم بعد أن المدينة رحلت ؟
 الرجل : رحلت !!! إنني لم أسمع شيئا عن رحيل المدينة أو اختفاء الشمس.

الغريب : وهي لن تشرق بعد اليوم على المدينة التي سرقها الرحيل فردد
الرجل والشرر يتطاير من عينيه مت كان ذلك ! وأين أهلها ؟
الغريب : لم ينبسوا ببنت شفة فقائدهم ساند الرحيل وسلم مفتاح المدينة.
الرجل : هذه خيانة كبرى !
الغريب : لقد خدروه بصناديق من ذهب وجواهر ودعموا منصبة على أن
يساعدهم على الاستحواذ على خيرات المدينة واستغلال جهود
أهلها بدون ضجيج.

فصرخ الرجل بأعلى صوته :

باع المدينة واشترى النذل لأهلها سوف نستردها بأي ثمن.

اذهب أنت يا جلال وابحث لنا عن بعض الشباب. سنقولها مدوية :
المدينة لن يسرقها الرحيل،
<http://Archivebeta.Sakhr>

وردد الرجل مرتجلا على أوتار قلبه تاريخا غير محدود :

1810 تلد المدينة غصن زيتون.

1815 يعثر على المدينة بين الأنهج والأزقة فتبعث في أعماقه صرخة
مدوية هكذا يتحول سكون الصمت إلى بركان من الثورة نعم هكذا
تتحول اللحظة تاريخا فيصرخ الرجل يا مدينة السراب، يا مولودة
الضباب ... يا ... يا أنت ... أيتها المدينة يسألك قنديل الوجود عن
ينبوع الذات، يسألك عن التاريخ، عن معنى الصمود، يسألك عن
السراب وعن فواتير الضباب فماذا أقول ؟ وتتناثر الأصوات هنا
وهناك :

لا تقل شيئا ... فقط قل له ان الوجود هو قنديل الذات.

وعندما حضر الغريب أخبر أنه جهز الأمور واستعد لمجابهة العدو
ودخلا المعركة وهذه أطوارها.

1820 ضاع السراب في كيان الذات ...

1830 يغرق الضباب في متاهات البعد.

1987 تقطر السماء بستان شوك.

7 نو ... ينبعث الأمل باقة شوق.

الطيور البيضاء تحلق في سماء المدينة هل انقشع الضباب حقا ؟



الفصول الخمسة

ARCHIVE

في زمن الخريف ... Archivebeta.Sakhril.com وتجتأخني زويدة
طفل يعانق البندقية
أواجهها من حروف الابجدية
يلعق فيها الزناد
فبنيت معا في خيمة
يرفع من الوحل
أوتادها فضيحة العروبة
جبين الصبية السبية
والبشرية ..
يمتص الوجع ..
★★★☆☆ في زن الربيع ..
وذبول أوراق الحرية
من يبحث عن الطلا
★★★★★ في ثغر زهرة
تجتاحك غيمة
في أشواكها يضيع
أطارها من سحب
بالصمت يبيع
بالخبز يبيع
المدفعية

بالشعر يبيع	في زمن الصدى
يبيع أو يضيع	«نمائد» ..
★★★★★	«نندد» ..
في زمن الصيف ..	«ندين» ..
يبيع الربيع ربوعه ..	يصدأ سيفك ..
للعطش والمنية	يا صلاح الدين
تهجر العصافير الصغيرة	نمضع الملح والفجيرة
أعشاشها القطنية	نلوك الشعر ..
تغني للتمرد ..	والكلمة الوضيعة
تعلن الملحمة الدموية	نرفع الأفراح
يخرج الفجر، من الاشلاء	ونجرب الجنس مع الرضيعة
ومن الهجمة الهمجية	عبد الوهاب القاسمي
	القنطرة

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

في الأعداد القادمة :

- التاريخ التونسي المعاصر والذاكرة الشعبية د. أحمد جدي
- مدخل منهجي وآفاق بحث
- مناهج علم النفس محمود اسماعيل